



درس عنى كتاب الدارس فى المدارس

أيها السادة:

إن تاریخ كل أمة سواء كان مجیداً أو غیر مجید لا یخبر مستقبله من ارتباط بماضیه لا من حیث التشابه بین طرفیه بل من حیث النتائج الّتی ترتب عنیها لقصة الأمم أحياناً وتغیر مجرى الحیاة الاجتماعیة بأن تسرع بخطا الشعوب إلى مراقب الصعود. ومعناه أنه إذا كان ماضی الأمة عظیماً محترماً فی التاریخ تحوّل عنى أن یكون أعظم احتراماً فی حاضرها أو على تسترد ذلك الاحترام إذا فقدت شیئاً منه. وإذا كان ماضیها شیئاً غیر محترم فی التاریخ تدأب على التخلّص منه وتطلب لنفسها حاضراً أسعد منه. فالنتیجة واحدة فی الحالتین ولكن لمن؟ ومن یحصل عنى مثل هذه نتیجة من الأمم؟ تحصل علیه أمة تعلم أن لها تاریخاً فتدرسه وماضياً تبحث فیه وترجع الیه لاسیما إذا كان تاریخاً مجیداً له آثار معروفة فی الوجود وأثر محقق فی الاجتماع. والأمة کالفرد فخورة بالماضی الجمیل إذا تمثّل لها نفع فیه من روحه فتلأها نشاطها ودفعتها إلى الأمام أشواطاً.

وإن أمة لا تعرف تاريخها أحر بها أن يتكر لها الزمان وتزدري بها الشعوب لجهنها بماضي التاريخ وتكرها الإنسانية وتكرها السماء والأرض.

إن المنارة الإسلامية التي رفع منارها أسلافنا الطاهرون وغيرت شكل الأرض ومجى الاجتماع كان لمدينتكم هذه حظ وفير منها ولا سيما في التوفر على إنشاء معاهد العلم ودور التربية والتهديب.

هذا أيها السادة ما دعاني لأن أقف بينكم خطيباً افتح صحيفة ماضي التاريخ فيما يتعلق بأسلافكم الغابرين ومدينتكم الفحاء وفيها ذكرى لئذاكرين وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

إن هذه الذكرى ما تروونه في هذا الكتاب الضخم المشتمل على ألف وثلاثمائة وستين صفحة وهو كتاب (الدارس في المدارس) تأليف العلامة المؤرخ محمد بن محي الدين النعيمي وهو خاص بما أنشئ من معاهد العلم والمساجد ودور العجزة (التكايا) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مائتين وبضعاً وثمانين لو وزعت المدارس منها على السنين منذ إنشاء أول مدرسة في القرن الخامس إلى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى عهد المؤلف في أواخر القرن التاسع لأصاب دمشق كل سنتين مدرسة تنشأ أو دار للعجزة والمرضى تشاد هذا فضلاً عما أنشئ من المدارس بعد ذلك التاريخ ولم يدركه المؤلف المذكور وهذا فهرست الكتاب تنو عنكم بعضاً من أسماء المدارس التي جاءت فيه ولا أطيل خوفاً من ضيق الوقت.

أنا تواريخ إنشاء هذه المدارس بالضبط والأوقاف التي حبت على الطلبة فيها والعناء الذين نبغوا منها ودرسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس في الوقت متسع

لتلاوته عنكم كما ترون من حجم الكتاب وحكم أن من درسوا في هذه المدارس وتولوا رياستها أو نبغوا فيها من علماء الشريعة مثل الحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور والإمام ابن تيمية صاحب التآليف الكثيرة وقاضي القضاة صدر الدين الأزرق صاحب الجامع الصغير والعماد ابن كثير والنووي وابن الصلاح والحافظ جمال الدين المزري وأشباههم من العلماء الكبار ومن علماء الطب مثل ابن أبي أصيبعة صاحب تاريخ الأطباء ومهذب الدين بن الحاجب ونجم الدين النبودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين الداخواز وعماد الدين الديسري وأضرابهم.

ومن علماء العقليات والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن أبي الحكم الباهلي وعز الدين السويدي وأبي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب البيمارستان النوري القائم إلى اليوم من عمل يده وأضرابهم.

وهذا أنا أقرأ لكم مثلاً واحداً من ترجمة هؤلاء الرجال فاسمعوا ما قال تاريخ المدارس هذا في ترجمة أفضل الدين بن أبي الحكم نقلاً عن الصفدي:

(محمد بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي) هو أفضل الدين أبو أحمد بن أبي الحكم من الحكماء المشهورين كان طبيباً حاذقاً وله يد طولى في الهندسة والنجوم (أي علم الفلك) وله في سائر الآلات المطربة يد عمالة وعمل أورغناً وبالع في إتقانه وقرأ على والده وغيره في الطب وكان في دولة نور الدين بن الشهيد ولما عمر البيمارستان والمستشفى النوري بدمشق جعل أمر الطب إليه إلى آخر ما قال:

هؤلاء الرجال الذين ذكرهم لكم وهذا الفضل الكبير منهم وعدد كثير منهم من أهل الشهرة بالعلم والفضل ودرسوا في هذه المدارس أو تخرجوا على رؤسائها ومشايخها ثم

ملأوا المكتبة العربية بالمؤلفات النافعة في كل فن ومن راجع منكم كتاب الكواكب لابن عروة الحنبلي في أكثر من مائة مجلد وتاريخ الحافظ ابن عساكر في أكثر من عشرين مجلداً وهما موجودان اليوم في المكتبة العمومية في مدرسة المنك الظاهر بدمشق وقاس عنيهما ما ألفه علماء تلك القرون الأفاضل وما قبلها في علوم الشريعة والأدب واللغة والتاريخ والتراجم والفنك والطب والرياضيات كالمهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم عظم مقدار ما لهذه المدارس ومؤسسيها من الفضل على الأمة وما للنابعين فيها من الأثر العظيم في الوجود بما سهره من الليالي الطوال في الحرير والتحير وما عانوه من النصب في وضع كتب العلم لإفادة الناس حتى ملأوا بها المكاتب ونشروا العلم: وما قولكم في أن عالماً واحداً من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع وثمانين وخمسة تترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكيمة كما ذكر ابن أبي أصيبعة في ترجمة الموما إليه.

وملا يظن بعضكم أن هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وأن أكثر علمائها وطبقتها من طبعة العلوم الشرعية وآلاتها كذا فإن فيها مدارس لغير العلوم الشرعية كالطب مثلاً ومن هذه المدارس المدرسة الدخوازية والديسرية والنبودية كما سترون ذلك في ما يأتي من الكلام إن شاء الله.

ولقد أخبرنا التاريخ أن معاهد العلم كانت مشاعة بين طلابه من كل فن وأن الطبيب أو الفنكي مثلاً كان يلتقي دروسه في أي مدرسة كانت من مدارس العلم له فيها وظيفة بل في الجوامع والمساجد أيضاً لأنها كانت قبل أن توجد المدارس على شكلها المعهود أي قبل

القرن الرابع أشبه بمدارس العلم بل هي المدارس بعينها وما زالت كذلك معاهدنا لنعلم والعبادة معاً إلى اليوم كما تعلمون.

وأذكر لكم مثلاً واحداً على أن المدارس كانت مشاعة لطلاب كل علم ما نقله ابن أبي أصيبعة في ترجمة رفيع الدين الجيلي قال:

وكان مقيماً في دمشق وهو فقيه في المدرسة العذراوية داخل باب النصر وله مجلس لثلاثين عنده في أنواع العلوم والطب وقرأت عليه شيئاً من العلوم الحكيمة.

واعلموا أيها السادة أن كثيراً من علماء الشريعة مثل الجيلي جمعوا بين العلوم الشرعية والعقلية والطب والفلك والرياضيات وكلهم من خريجي هذه المدارس بالضرورة ومن جاء ذكرهم من هؤلاء في هذا التاريخ واذكره مثلاً لبقين أحمد بن الحسين الدمشقي وإليكم ما

جاء في ترجمته من هذا الكتاب نقلاً عن ابن كثير:

(الجمال الحق أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي) اشتغل على مذهب الشافعي وبرع فيه وأفق وأعاد وكان فاضلاً في الطب وقد ولي مشيخة الدخوازية (مدرسة طبية) لتقدمه في صناعة الطب على غيره وعاد المرضي بالبيمارستان النوري على قاعدة الأطباء وكان مدرساً بالشافعية بالمدرسة القروخشاهية ومعيداً بعدة مدارس إلى آخر ما قال:

هذا يدلكم على أن العلوم كانت مشاعة بين العلماء وأن العالم بالشرع قد يكون عالماً بعلوم أخرى من العلوم النظرية والعملية كالفلسفة والطب والموسيقى والرياضيات وغيرها من العلوم التي قامت على دعائمها المدنية الإسلامية وكانت الحلقة الوسطى بين المدنية القديمة والمدنية الحديثة حتى اعترف بفضلها على التمدن الغربي كثير من علماء

التاريخ والاجتماع في أوربا كدربي ومونتسكيو لوبون وأفردوا للمدنية الإسلامية كتباً خاصة أتوا فيها على ذكر ما تركته هذه الحضارة من آثار الترقى والعلم التي يجهنها أهله لهذا العهد بالأسف والعار.

نحن الآن أيها السادة بصدد علماء دمشق في القرون الوسطى وإنما هم حلقة من سلسلة تلك المدنية الإسلامية التي أحنى عليها الزمان وإذا صحتم لي فأني أختتم كلامي بنبذة من تاريخ تلك السلسلة بعد استيفاء الكلام على كتاب المدارس هذا إن شاء الله. علمنا مما سبق أن عدد المدارس ودور العجزة التي أنشئت في دمشق ولكن من الذي أنشأ هذه المدارس ورفع بنائها وأدر الخيرات عليها وأنفق على طلابها من ماله أهى الحكومة أو الأفراد أو الجماعات؟

ينبغي بنا الضعف أن نعرنا كالأطفال نطلب كل شيء من الحكومة كما يطلب الطفل كل شيء من والديه أما أسلافنا فلم يكونوا كذلك بل كانوا استقلاليين أكثر منهم اتكاليين يعرفون قيمة الاعتماد على النفس فكان الفرد الواحد يقوم بما تقوم به الجماعة أو يطلب من الحكومة اليوم.

ولهذا فإن كل ما جاء ذكره في هذا الكتاب من المساجد والتكايا والمدارس إنما أنشأه الأفراد وقام بمال أهل السخاء من أسلافكم الطيبين خض الخير وإرادة نشر العلم وخدمة الوطن والدين.

لم يختص بهذا العمل الجليل والشرف الرفيع الملوك والأمراء وذوو السلطة كما قد يتوهم بعضهم كلا بل كان الأفراد من كل الطبقات من أهل اليسار يتسابقون إلى إقامة المعاهد العلمية حسبة لله وحباً بعمل الخير واستبقاءً للذكر الصالح في الوجود.

فالتجار والعناء والسيدات هم الذين أسسوا هذه المدارس كل مدرسة يؤسسها شخص بمفرده ويجلس عليها من ملكه ما يكفي ريعها بل أقول لكم والحجل يكاد يمنعني من التكلم والحزن يوشك أن يعقد لساني أن العبدان_عبدان أسلافكم أيها السادة_شيدوا بأموالهم بعض هذه المدارس أيها السادة ورفعوا منار العلم للفضيلة كم ترفع العبدان إلى منزلة السادة في حين تنحط السادة إلى منزلة العبدان.

إن العبدان كانوا أرفع نفوساً وأسخى كفوفاً منا الآن يا للنخجل والخسران.
إن الكلام وحده لا يغني عن البرهان وإنكم تنتظرون مني الدليل بعد هذا البيان وإليكم أمثلة من عمل العناء. التجار. والسيدات. والعبدان.

قال المؤرخ في فصل عقده لمدراس الطب:

(المدرسة الطبية الدخوازية الدخوارية) المدرسة الدخوازية بالصاغة الحقيقة بقرب الخضراء قبلي الجامع الأموي أنشأها مهذب الدين عبد المنعم بن علي بن حامد المعروف بالداخوز في سنة إحدى وعشرين وستمائة بالصاغة الحقيقة كما تقدم وأول من درس فيها واقفها ثم من بعده بدر الدين محمد بن قاضي بعلبك ثم عماد الدين الدينوري وهو بها الآن.

(المدرسة الدينسرية) غربي الينارستان النوري والصلاحية بآخر الطريق من قبلة قال الذهبي في العبر في أخبار سنة ست وثمانين وستمائة:

عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس الربيعي الرئيس الطبيب ولبد بدينر سنة ست وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وتفقه للشافعي وصحب البهاء الزهير وتأدب به وصنف إلى أن قال نقلاً عن الأسدي: العماد محمد بن عباس الحكيم البارع في الطب صاحب المدرسة للأطباء بالقرب من بيمارستان نور الدين الشهيد الخ.

(المدرسة البودية) البودية النجمية مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري
 أنشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن البودي في سنة أربع وستين ومستمائة: إلى أن قال نقلاً
 عن ابن أبي أصيبعة. كان علامة وقته وأفضل أهل زمانه في العلوم الحكيمة الخ.
 هذه أمثلة من عمل العلماء: واسمعوا مثلاً من عمل التجار في سبيل الخير والعلم والمنفعة
 العامة لم يعمل مثله أحد من أغنياء هذا الزمان:

(المدرسة المزلقية) بطريق مقابر باب الصغير الأخذ إلى الصابونية أنشأها تاجر الخاص
 الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر المعروف بابن المزلق ميلاده
 سنة أربع وخمسين وسبع مائة وكان أبوه لبناً أدركه جماعة وهو يباشر منبنة عند جامع
 يلغا فنشأ ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه أن أول سفرة سافر بها كسب فيها
 مائة ألف دينار وثماني مائة ألف درهم وانفتحت عليه الدنيا وعمر أملاكاً كثيرة وأنشأ على
 درب الشام إلى مصر خانات عظيمة بالقيطرة وجسر يعقوب والنية وعيون التجار وأنفق
 على عمارها ما يزيد على مائة ألف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت في غاية
 الحسن لم يسبق أحد من الملوك والخلفاء إلى مثل ذلك وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب
 الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الأوقاف الكثيرة الحسنة وعين لنحجرة
 الشريفة على الحال بها أفضل الصلاة وأتم السلام الشمع والزيت في كل عام إلى آخر ما
 قال:

وهذا مثال لتاجر غيره أيضاً: (المدرسة الرواحية) شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي
 ولصيقه شمالي جيرون وغربي الدوينعة وقبلتي السيفية الحنبلية: قال ابن شداد بانيتها زكي
 الدين أبو القاسم المعروف بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه العبر في من مات سنة اثنتين

وعشرين ومستمائة والزكي بن رواحة هبة الله بن محمد الأنصاري التاجر المعدل وأوقف المدرسة بدمشق وأخرى بحلب الخ.

ومن أمثلة عمل النساء: (المدرسة العالمية) العالمية شرقي الرباط الناصري غربي سفيح قاسيون تحت جامع الأفرم واقفتها الشيخة الصالحة العالمة اللطيفة بنت الشيخ الناصح الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة التي قبل هذه (وهي المدرسة الشيخة بانيها أبو عمر الكبير) وكانت فاضلة لها تصانيف وهي التي أرشدت ربعة خاتون بنت نجم الدين أيوب أخت الملك صلاح الدين إلى وقف المدرسة صاحبية بقاسيون على الحنابلة الخ.

ومن أمثلة عمل العبدان والطواشي (المدرسة الصارمية) الصارمية داخل بآبي النصر والجانبية قبلي العذرواية بشرق قال القاضي عز الدين بانيها صارم الدينك أربك مملوك قايماز النجبي ورأيت مرسوماً بعثتها ما صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المكان المبارك إنشاء الطوشي الأجل الصارم الدين جوهر بن عبد الله الحر حقيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذرى ابنة شاهنشاه رحمها الله تعالى الخ. رأيتم أيها السادة بماذا قامت هذه المدارس وعن وكيف أن الأفراد من أسلافكم كانوا يعنون ما لا يعمله الجماعات منكم اليوم.

إن الأفراد هم الذين يتهضون بالأمم وأن المدنية الإسلامية التي تنوت عليكم حلقة من سلسلتها العظيمة كان للأفراد شأن عظيم في وضع دعائمها وتشيد بنيانها.

تعنون أيها السادة ما كان لترجمة كتب أهل التمدن القديم كال يونان والفرس إلى العربية من الأثر الكبير في تأسيس المدنية الإسلامية في بغداد على عهد الخلفاء العباسيين وقد

يتوهم بعضهم أن الذي عني بترجمة هذه الكتب إنما هم الخلفاء وخدمهم وأخصصهم أمير المؤمنين المأمون والحال أن لكثير من الأفراد ورجال الفضل والنبل من الأمة يداً لا تنكر في هذا السبيل.

وهذا يدلكم عني أن عمل الأشخاص منفردين لا يقل تأثيراً في الهيئة الاجتماعية عن عملهم مجتمعين.

ولذا فلا أبالغ إذا قلت أن نوابغ الأمة الذين خدموا بذكائهم وعملهم المدنية وشيدوا أركانها الرفيعة إنما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل أهل السخاء والجود من محبي العلم والتلقي وأنصار النجاح الذين كانوا ينفقون من مالهم عني المترجمين لكتب العناية إلى اللغة العربية.

ومن هؤلاء الأفاضل الأجواد الذين رصدوا جزءاً كبيراً من أموالهم عني المترجمين لكتب العلم في تلك العصور: علي بن عيسى العباسي: ومحمد بن موسى بن شاكر الرياضي الشهير: وعلي بن يحيى الكاتب: وابن المدير الكاتب: وثاوري الأسقف: ومحمد بن عبد الملك الزيات الوزير: وبختيوع الطيب: ويوحنا بن ماسويه الطيب: والعبد الكثير من أمثالهم المولعين بالتلقي والعلم والذين كان يتفق كل واحد منهم أموالاً طائلة عني نقده العنوم إلى اللغة العربية حتى لقد نقل ابن أبي أصيعة عن محمد بن عبد الملك الزيات أنه كان يتفق في الشهر الواحد عني المترجمين ألف دينار. قال هذا فضلاً عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا القصد.

إننا والله نعتنى أن تجمع هذه الألف دينار في كل شهر من كل غني من أغنيائنا اليوم لتفق في سبيل نشر العلم وتربية الناشئة من أبناء الأوطان ولو فعنوا ذلك اليوم لعوضها

أبناءؤهم أضعافاً مضاعفة في الغد. بل لو فعل ذلك أهل كل ولاية عثمانية لأصبحت المملكة العثمانية بعد عشر سنين جنة قطوفها العنم وسياجها القوة والحياة. ولنعد إلى ما كنا بصددہ فنقول:

مثل هذا البذل عني نقل كتب العنم ونشرها بين الكافة والاستفادة منها ظهر أركان النهضة في الشرق الذين ارتفع بهم شأن التمدن الإسلامي وذلك مثل بني موسى بن شاكر المهندسين الرياضيين في عصرهم وبختيشوع وبني سهل وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قررة وبني زهرون وأبي عثمان الدمشقي وابن كرنيب ويحيى بن عدي المظقي وأبي الفرج الطيب وأبي الريحان البيروني والشيخ الرئيس ابن سينا وأبي النصر الفارابي والفخر الرازي وابن الشاطر وأضرابهم من العناء الذين ظهوروا في الشرق في عصور متفاوتة إبان الحضارة الإسلامية.

ومثل بني زهر ويحيى بن السمين وأبي القاسم المرحطي إمام الرياضيين والفنكيين في عصره وابن المسح الغرناطي المهندس وسعيد بن عبد ربه وأبي جعفر الترحالي وأبي الوليد ابن رشد وابنيه محمد وأضرابهم ممن ظهوروا كذلك في الغرب.

ومثل ابن الهيثم البصري صاحب التأليف الغزيرة في الرياضيات والفنك والمبشر ابن فاتك وعني بن رضوان وتلميذه أفرائيم بن الزقان والشيخ السديد رئيس الأطباء وشمس الرياسة بن جميع الإسرائيلي ورشيد الدين أبي حنيفة وأمثالهم ممن ظهوروا في مصر.

كل هؤلاء من عناء الفلسفة والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها من العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المائة ممن ظهوروا في عصرهم وبعده في الشام وبغداد ومصر وفارس والمغرب والروم أي آسيا الصغر وغيرها من الأمصار ونهضوا بالأمة وأعلنوا ذكر المدنية

الإسلامية في الشرف والغرب وإنما وضع لهم الأساس أفراد من الأمة قدروا قدر العنم فشيّدوا معاهده وترجموا كتبه وأكرموا أممه فتكون من عمل أولئك وهؤلاء وتعاونهم جيلاً بعد جيل بناء تلك المدنية العظيمة التي فقدناها بعد ولم نستطع النحاق بأبناء التمدن الحديث لإعراضنا عن العنم وغفلتنا عن تحدي الأمم الراقية وقبض أكفنا عن إمداد معاهد العنوم وإنشاء دورها مع إنا قد يطلب منا الآن ونحن جهاعات فلا نجيب ما كان يعنّه الأفراد من أسلافنا من تنقاء أنفسهم وبحض رغبتهم بالعنم والمعارف وجهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم.

وبالجملة أيها السادة إنا أمة ذات ماضي مجيد وتاريخ جميل وقد ترك لنا أسلافنا درساً لا يحويه الزمان ونقشاً في كل زاوية من المشرق ومكان فنّ ينبغ بنا ضعف النظر أو ضعف القنوب والهمم أو فساد الأخلاق واستحالة الدم إلى أن نتناساه ولا نقرأ صحفه الزاهية التي يدعوننا كل سطر منها إلى التذكر والتفكير والسعي الحثيث إلى الترقّي الذي مناطه العنم والعلم يحتاج إلى المال. فالمال الكرم الكرم الانتباه الانتباه وإلا قضى علينا بالدمار وألحق بنا العار وتبرأ منا أسلافنا الطاهرون ولا يكون ذلك إنشاء الله ما دام فينا الكرام الغورون والرجال المفكرون والسلام عليكم.

أغنياؤنا

قال لنا منذ مدة أحد أعيان دمشق أنني اضطرت لصاتقة أصابني أن أبيع عقارين من عقاراتي أفندري من كان يزيد فيها؟ قلنا لا ندري. قال كان يزيد فيها لا يتصور العقل أن عندهم قوت شهر واحد أناس يلبسون خنق الثياب ولا تعدهم من كبار السوقة بل من صغار المرتزقة أما من كان يظن أنهم سيتلقفون ذنك العقارين فلم يساومونا عندها

بفلس واحد لأفهم لا نقد عندهم وربما كان تقدير الناس لأموالهم هم دون الحقيقة بمراحل.

واجتمعوا في المساء بمجلس غاص بالمفكرين وأربابا التجار فقص علينا أحدهم. أن المزرعة الفلانية التي يراد بيعها في الغوطة قد انتهى ثمنها إلى عشرين ألف ليرة على يد رجل لم يكن يظن أنه يملك معشارها من الثروة حتى قال أنه يدفع قيمتها حوالة على المصرف دفعة واحدة ثم اجتمعت آراء الحضور على أن ثروة دمشق قد زادت في العشر سنين الأخيرة زيادة محدودة بداعي الأموال الطائفة التي بذرتها فيها إدارة السكة الحجازية وهي لا تقل عن مليوني ليرة وإدارة الترمواي الكهربائي الذي أنفق نحو مائتي ألف ليرة وما أعقب قرب المواصلات من ورود السائحين والحاجين إلى دمشق ذاهبين منها وجائين وما نقلته السكك الحديدية من غلات البلاد القاصية فقدر ما حم لته سكة حوران وحدها من الغلات في العام الفائت بشانين ألف طن والطن أربعة قناطير دمشقية وثنها يناهز المليون ليرة وما نقلته سكة حديد حماة بخمسة وأربعين ألف طن هذا عدا ما نقلته الخطوط الأخرى وحمل على متون الدواب والجنال من الغلات والشرات حتى عبرت بذلك قرى حوران وكانت خراباً ياباً منذ بضع سنين وغدا الحوراني اليوم ينعب بالنيرات كنا ينعب جاره الفلاح المصري بالجنيحات هذا في إقليم واحد من أقاليم بلاد الشام وفلسطين وولاية بيروت وحنب وسورية مقاطعات لا تقل في خصبها وأمرعها عن حوران ولكنها لم تشتهر شهرتها وأصبح أهلها بفضل المواصلات والحركة التجارية الجديدة في سعة من العيش تزيدهم كما زادهم الحكومة أمناً ووفرت لهم مرافق الحياة.

قالوا وهذه النهضة الاقتصادية في دمشق خاصة لأنها قاعدة هذه البلاد والنقطة الوسطى منها وباب الكعبة ومقر الفيلق ومركز الولاية قد استمتع بخيراتها المقاولون والتجارون والحدادون والبنائون والحجارون والجمالون والعجلة والتجار وأرباب الفنادق والمطاعم والعربات فتسربت الدراهم والدنانير إلى جيوب أرباب الطبقة الوسطى فمن دونها واغتنى كثيرون وارتاشوا حتى أن كثيرين من بائعي الفول المدمس لا يرضون من الربح في يومهم أقل من ليلة.

كل هذا قالوه وهو صحيح ولكن الواجب علينا أن لا يمر بنا دون أن نتدبر سره الاقتصادي والاجتماعي والسري فيه أن كثيرين من الأعيان اكتفوا بما حازوه من الثروة إرثاً عن آبائهم أو بفضل معهم ولا تقول كيف حازوها والطرق التي سنكوها فمنهم من كانت ثروته ثمرة الكدح المشروع من تجارة وزراعة وهم قلائل يعدون على الأصابع. ومنهم من اغتنوا بالاتفاق فابتاعوا مثلاً أرضاً أو عقاراً قصت الأحوال بارتفاع أسعاره فأصبح ما ابتاع يساوي عشرة آلاف وعندهم محدود أيضاً ومنهم من أثروا بما كان لهم أو لأجدادهم من النفوذ في الدولة الاستبدادية فكان الفلاحون يأتونهم باكين شاكين طالبين إليهم أن يرفعوا عنهم ظلم الحكومة أو المتزمتين أو عرب البادية ويأخذوا قريتهم حلالاً زلاًلاً وهم يكفون منهم بالحماية ويدفعون لهم الخمس كل سنة من مجموع ما تنبت الأرض. ومنهم من تيسر لهم أن يحرزوا وقفاً عظيماً لمدرسة أو لمدارس فعمروا أرضه ورباعه فأخصب وعلا ثمنه مع الزمن فاغتنوا هم وأولادهم ومنهم من وسدت إليهم الوظائف فباعوا ذمتهم وفتحوا بطونهم لأكل الرشى وأضاعوا حقوق العباد والدولة حتى جمعوا لهم مقداراً من المال أنشوا به الخوانيت وعمروا الدور واستثمروا المزارع

والدساكر. ومنهم من جرأوا على استحلال الربا أيام كان ابن حوران مثلاً لفقره يضطر في أكثر سنه أن يقترض القرش بقرشين للبرابين والصيارف قحة وعرامة فجمعوا من رأس مال صغير رأس مال صغير كنزاً كبيراً في برهة وجيزة ومنهم من لم يستكفوا من ظلم الفلاح فأكلوا لحنه وعرقه وعظمه حتى تم لهم والناس في غفلة والحكومة في إخفاء الذ من إغفاء الصبح نائمة على رعاياها إن جمعوا ما جمعوا سحتاً بحتاً وحراماً لا يجوز عقل من عقول البشر ولا شريعة من الشرائع المساوية والأرضية.

هكذا قام أكثر ما نشاهده من الثروات وعلى هذه الأسس قامت أبنية الأمجاد والفتير رائد أصحابها والإمساك طريقهم إلى الجمع. ومن أتاه قرش فصرف بعضه وأحسن استخدام ما جمع لا بد أن يأتي عليه يوم يحوز الثنى وكيف لا ننسب بعض الأغنياء إلى كزازة الأيدي ونحن نراهم لا يسحون حتى بتعليم أولادهم مع أن تعنيهم باتفاق آراء العقلاء يعادل

إطعامهم لقوام أجسامهم وتغذية الأرواح مفضلة عند الكثيرين على تغذية الأشباح. لو تعلم أولاد الأغنياء أن التعليم العصري المطلوب وربوا على الأخلاق الفاضلة أخلاق العمل والحساب لما خيف على ثروات آبائهم من التبدد ولتوارثوا النسب كما يتوارث النشب كائناً عن كابر فتسلل الوجاهة في بيوتهم الجيل بعد الجيل والعصر بعد العصر فلا يخافون عيلة ولا يشكون سقوط منزلة. وأصدق مثال يصح الاستشهاد به أكل حين ما يراه كل إنسان من الفروق في حالة الميحيين والمسلمين وهم أبناء وطن واحد لا يختلفون في طبائعهم ولا في عاداتهم وهم قد فاقوا المسلمين بمبادئ يعنونها من اللغات والعنوم وطاب العيش فقيرهم منهم أكثر من عيش الغني في المسلمين وذلك بفضل ما

تعنوه من حسن التربية والحساب للمستقبل وعدم الاتكال على الحكومة وأعمالها بل على الكفاءة واستخراج الثروة من المذاهب الطبيعية في المعاش.

وعقد ابن خلدون عقداً في نهاية الفصل في أن نهاية الحسب في العقد الواحد أربعة آباء فقال:

إن باني الجدد عالم في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي أسباب كونه وبقائه وابنه بعده مباشر لأبيه قد سمع منه ذلك وأخذه عنه إلا أنه مقصر في ذلك تقصر السامع بالشيء عن المعاني له ثم إذا جاء الثالث كان حظه الاقتضاء والتخيد خاصة فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن الاجتهاد ثم إذا جاء الرابع قصر عن طريقهم جهنة وأضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحقرها وتوهم أن ذلك البيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف وإنما هو أمر وجب لهم منذ أول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم أن النسب فقط فيربأ عن نفسه عن أهل عصيته ويرى الفضل له عندهم وثوقاً بما ربي فيه من استياعهم وجهلاً بما أوجب ذلك الاستياع من الخلال التي منها التواضع لهم والأخذ بمجامعهم وقنومهم فيحقرهم بذلك فيفضون عليه ويحقرونه ويدبون منه سواه من أهل ذلك المنبت ومن فروعهم في غير ذلك العقب للإذعان لعصيتهم بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتسوء فروع هذا وتدوي فرع الأول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والأمراء وأهل الصية أجمع ثم في بيوت أهل الأمصار إذا انحطت بيوت نشأت بيوت أخرى من ذلك النسب يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز.

واشترط الأربعة في الإحساب إنما هو في الغالب وإلا فقد يدثر البيت من دون الأربعة ويتلاشى وينهدم أمرها وقد يتصل أمرها إلى الخامس والسادس إلا أنه في المخطاط وذهاب واعتبار الأربعة من قبل الأجيال الأربعة بأنه مباشر له ومقنن وهادى وهو أقل ما يمكن وقد اعتبرت الأربعة في نهاية الحب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم إنما كريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم إشارة إلى أنه بلغ الغاية من الجود وفي التوراة ما معناه أن الله طائق غير غيور مطالب بذنوب الأبناء للبنين على الثواب وعلى الروابع وهذا يدل على أن الأربعة إلا عقاب غاية في الأنساب والحب أمـ

وبعد فإن من سنن الكون أن لا يظل الغني غنياً ولا الفقير فقيراً وأن من رأيتهم اغتروا في العهد الأخير بالنسبة لجموع ثروة الأمم هم الذين سعوا إلى الرزق من أبوابهم ومعظمهم يؤثرون حتى بعد أن اغتروا أن يعيشوا عيش البساطة فدخل أحدهم فأنض كثيراً عن خرجه ولا يبعد أن يجيء يوم يتولى أولئك الذين لا نعرفهم أو لا نريد أن نعرفهم أزمة الأمور ويصبحون هم أعيان البلاد خصوصاً إذا داووا أرواحهم وأرواح ذراريهم بتر ياق التعليم وبسلم التربية الحديثة وطبعوا أسراهم بطابع الاستقلال لا بطابع الاتكال في الأعمال. ربوهم ليكونوا أعضاء عاملة في المجتمع البشري لا ليكونوا فقط أميين ومأمورين. ربوهم ليعرفوا المال وطرق كسبه من الوجوه المشروعة المعقولة لا بالاحتيال والنصب خبث الطعنة وسوء القالة. ربوهم كما يربي الإنكليزي ولده فيعلمه حتى إذا بلغ أشده يلقه برضاه في معترك الحياة مانعاً عنه كل معونة مالية لا كما يربي الفرنسي

ولده فيعلمه ما أراد فإذا شب لا ينفك عنه فيزوجه ويعطيه وربما حرم بناته حتى يخلف قدراً أكثر لبيه.

التعليم الوطني

من أهم المسائل الاجتماعية في العالم مسألة التعليم فهو الذي تحرص عليه الأمم حرصها على حياتها. والتعليم الوطني هو أرقى أنواع التعليم به تحفظ الجنسيات واللغات ويبقى على العادات والقوميات ولذلك تجد العراق في هذا الشأن على أشد ما يكون بين الأمم الغالبة والأمم المغنوبة فالبولونيون لا يسمتزون من الألمان والنسويين والروسيين إلا لأن كلاً من ألمانيا والنمسا وروسيا تحاول أن تصبغ البولونيين بصيغتها. والجزائريون لا يتأفون من فرنسا إلا لأنها تنوي القضاء على جنسيتهم ولغتهم ودينهم بتلقينهم المبادئ الإفريقية واللغة الفرنسية. والكوريون لا يفضون على اليابانيين إلا لأن هؤلاء يحبون أن يصبغوا أهل كوريا بصيغتهم ويطبعوهم على مناحيهم. وأهل الإلزاس والنورين لا يكون من الألمان إلا لأهم يرمون إلى تربيتهم على الأسلوب الألماني وتلقينهم اللغة الألمانية ليسوا مع الزمن لسامهم وقوميتهم كما نسي أهل شنزويك هولستان الدانيسكيون لغتهم بانضمامهم إلى بروسيا. والجاويون لا يتأوهون من هولاندة إلا لعيها في تنشئتهم على مناحيها. والهنديون أعظم ما يسقونه على الإنكليز تلقين الناس حب إنكثرا وعظمتها ولغتها وإن كان الإنكليز أكثر الأمم مراعاة لعواطف المغنوبين على أمرهم.

وهكذا لو استقرينا تاريخ الإنسان إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم نجد عبارة عن سلسلة ظلمات منشؤها سوء الظاهر بين الناس يريد القوي أن يسخر الضعيف ويطبعه على منازعه لا اعتقاده بأنه أعنى منه كعباً وأكثر عنماً وأدباً وأرجح عقلاً وأنجح معاً شأن

العالم مع الجاهل لا يود أن تمر به ساعة إلا يعلنه به شيئاً ليقر به منه ويحسن الانتفاع به ولكن ما كل قوي يكون أعلم من ضعيف ولا غالب أعقل من مغلوب وتدر بين الناس والأمم من يقرر بأرجحية غيره عليه ولو كان الحق في ذلك أوضح من فلق الصبح.

نقول هذا ونحن نرى التعليم الوطني في مصر والشام وهما من أعرق البلاد في الحضارة والتعليم على أضعف ما يكون وإن كانت مصر سيدة البقاع في هذا لأن انتباه الناس منذ ستين لجعل طبقات التعليم بالعربية بعد أن كاد يصبح كنه بالإنكليزية لا بد أن يحفظ على المصريين لغتهم وأخلاقهم وتقاليدهم أكثر مما يحفظها على السوريين مثلاً. فقد عشت في السوريين دواعي التفريق في الوطنية وضعفت منكمهم فيهم بقوة المدارس الغير وطنية في ديارهم. فإذا كانت هذه المدارس قد نفعت سورية بما أدخلته إليها من النور القليل فقد

أضرقتها بالخلال عقدة الوطنية فمدارس الأميركيان والروس واليونان والفرنسيين والإنكليز والألمان قد أصححت وأفسدت. أصححت بتفنين من تخرجوا فيها شيئاً من معارف الغرب وأضعفت في نفوسهم حب الوطن بتحييها إليهم أوطاناً غير أوطانهم وتعريفهم إلى رجال غير رجالهم ومساواتها فيس أعينهم الأمم. والعقل منه حرص على نفع أمته قبل كل نفع وانتفع بما عنده قبل أن يتطال إلى ما عند غيره.

رأينا أفاضل الطبقة التي نشأت في مدارس الفرنسيين والأميركان والروس في أدوار مختلفة فلم نشهد فيهم إلا النادر من يغار على وطنه كما يغار على حرمه فكنا إذا حدثناهم بما تصير إليهم حالة لغتهم ووطنيتهم بتخنيهم عنها قالوا وأي نفع يرتجى لمن يتعلم اللغة العربية وهل هي إلا لغة قوم بادوا وانقضت أيام سعدهم ومن يضمن لنا أن

نعيش إذا تعلمنا اللغة العربية ولذلك كانت أقل لغة من لغات العالم المتمدن أكثر فائدة. أما حالتهم في انحلال عقدة الوطنية فأدهى وأمر. ومن زهد في لغة آبائه وجدوده كان حرياً بالزهد في وطنه ووطنيته. واللغة والوطن يصح أن يكونان اسمين لمسمى واحد.

شهدنا ناساً قليل عنهم أهم حملة للشهادات العالية من مدارس الأجانب فكنا نسألهم بعض الأسئلة البسيطة في تاريخ أممتهم وبلادهم فما كانت أجوبتهم إلا استهزاء بما يترتب على معرفتهم ذلك من الفوائد وكان أيسر ما يحجنا به أحدهم أنه يعرف تاريخ روسيا وأميركا وإنجلترا أو فرنسا جيدة ويوردون لنا أيام تلك الأمم وأسماء رجال الحرب والسياسة والعلم فيهم ويعجزون عن ذكر شيء من تاريخ بلادهم إلا القليل الذي تنفقه بالسماع من العامة. هذا في ناشئة المدارس الأجنبية الذين هان عندهم أن يغادروا بلادهم وأكثرهم نزحوا إلى مصر وأميركا وغيرهم اختاروها موطناً لهم وربما حدثتهم أنفسهم أن يتجنسوا بالجنسية الأجنبية لأنه لا ترجى عودة لهم إلى بلادهم وقد مثلت نفوسهم بحب من تخرجوا بهم.

وهناك طبقة ومعظمها من المصنفين تخرجت من مدارس الحكومة فخرجت أقرب إلى الخنعة منها إلى العربية لأن المدارس الأميرية ما برحت إلى اليوم وقبل اليوم تعلم اللغة العربية تعيناً صورياً وتوفر عنايتها بالتركية لغة البلاد الرسمية وأنا لنخجل أن نقول أن سورية قد نشأت منها زهاء خمسمائة ضابط ونحوهم أو أكثر من الموظفين لا يعرفون من اللغة العربية إلا أن يتكلموا الكلام العادي البسيط وأكثرهم يمزجون بالفاظ تركية لا يفهمها ابن العرب ويعتدرون عن قصورهم بأنهم لم يتعلموا في المدارس لغة آبائهم وأجدادهم ومن يقدرهم منهم على الكتابة الصحيحة بلغتهم فأفراد يعدون على الأصابع تعلموها في

الغالب بعد أن أفجروا دروسهم. والمتخرجون في مدارس الحكومة لا يحسنون في الأكثر تاريخ الدولة العثمانية فضلاً عن تاريخ العرب وأجداد أسلافهم.

جنت مدارس الأجانب والحكومة على هذه البلاد أعظم جباية لأن المتخرجين فيها ومعظمهم من الذكاء على جانب عظيم لم ينفعوا الدولة حق النفع ولم ينفعوا البلاد التي ولدوا فيها فتراهم ضعافاً في جبههم أوطانهم فلما أن ينتقلوا في الوظائف وإما أن ينتقلوا من البلاد جنة فتحرم منهم الأمة التي أولدتهم والسنة التي أظنتهم والأرض التي أقتنهم والبلاد لا تعبر إلا بأيدي أبنائها بعد أن قيل في الأمثال قتل أرضاً عالمها وهل أعلم بها من أبنائها.

ابحث عن تخرج في هاتيك المدارس منذ ثلاثين سنة تجدهم إلا قليلاً وقفوا أنفسهم على نفع غيرهم واحقرروا جنسيتهم ولغتهم وربما كان عدد المختقرين لهذا في ناشئة المدارس الأميرية أكثر من متخرجي المدارس الأجنبية لأن هؤلاء يرون باحتكاكهم بالأجانب مبلغ تقاضي هؤلاء في إفاض أمهم وجههم لغتها وتقاليدها والمدارسهم عناية بالعربية أكثر من المدارس الأميرية فإذا كان الطالب حفيف الرأي لا ينطلي عليه محال من يعلمونه ولكن من أين له وطنية كوطنيتهم وغيره كغيرهم وهو لا يعرف من أسباب وطنيته حتى ولا لغتها ولا من مجد أجداده إلا قشوراً ولا من حاجات بلاده وقانونها إلا تافهاً. وهل غير القوي يدافع عن حوزته وغير العاقل يحفظ بعاداته ولغته والقوة لا تنشأ إلا بالعلم والتربية الوطنية.

إن المدارس غير العربية في سورية أشبه بالسارق الذي يسرق الأعلاق ونفائس المتاع. استغفر الله بل من يسرق فنذات الأكباد ليخرجها على ما أراد أشق على النفس وطأة

وأعظم في المغبة أثراً وهل يقاس سارق الأموال بسارق الأطفال والرجال أوليست الأرواح أثمن من كل بضاعة وهل أعز من الولد على قلب والديه.

وليس معنى هذه الدعوة إلى مقاطعة المدارس الغير العربية فإن أهل هذه البلاد لا غنى لأفراد منهم على تعلم اللغة التركية لغة السياسة الجامعة ولا عن تلقف بعض اللغات الأوروبية الراقية كالإنكليزية والفرنساوية والألمانية والإيطالية ولكن الواجب أن يتعلموا ما شاؤوا من اللغات والعلوم ولكن بعد أن يحكموا لغتهم كتابة وخطابة حتى لا يسرق أبناء سورية بتساهل آبائهم ويسعوفهم من أقوام آخر بالجان على أمل التوظيف في وظائف الحكومة أو الاحتكاك بالأجانب احتكاكاً يؤدي في الأكثر إلى ارتحال المتخرج بهم عن بلده وزهده في وطنه زهداً أبدياً.

إن المدارس التي تعلم غير الأسنوب الوطني هي التي تسبب من سورية اليوم بعد اليوم روحها وناهب الروح ماذا يدعى في الشرع والعقل؟ إن لأهل كل قطر منازع خاصة بهم وعادات وأخلاقاً ومميزات إذا فقدوها هنكوا وانحل أمرهم وآضوا عبثاً ثقيلاً على البلاد لا ينتفعون بها ولا هي تنفع منهم. فالواجب إذاً إنشاء مدارس لإحياء التعلم الوطني لتحياء بحياته البلاد لأن مئة رجل يعرفون الزراعة باللغة الفرنسية أقل نفعاً من واحد يشرحها للعرب بالعربية وقد يكون تعلمها بالعمل لا بالنظر. وهكذا الحال في مئة كاتب تعلم قرأ العلوم والآداب بغير لغته لا يستفيد منه قوم إلا معشار كاتب واحد يعرف كيف يعلم عامة قومه قبل خاصتهم وجاهلهم قبل عالمهم أصول المعاش والمعاد بنفحة أبيه وأمه.

إن ما عاق الأتراك عن فهم أسرار الشريعة قللة عنايتهم بالعربية التي يجب على كل مسلم أن يتعلمها والذي عاق العرب عن فهم قوانين البلاد جهلهم بالتركية لغة الجامعة العثمانية التي توجب السياسة تعلمها فظننت أكثر قوانيننا مكتوبة باللغة التركية ولم يستفد منها إلا قلائل من الأتراك وبعض من تعلموا ليتوظفوا من العرب والبروم والأرمن والأرناؤود والأكراد واللاز والفلاحيين والبوشناقين والبنغاريين. ولو تخرج في مدارس الحكومة أناس من العرب يحسنون الكتابة والخطابة كنا يحسنونها باللغة الطارئة عنهم لتسكنوا على الأقل من نقل هذه القوانين إلى العربية وعرف العثمانيون ما لهم وما عندهم وأفادوا بلادهم وقوميتهم فائدة كبرى.

إن مما يبكي أن يسن ابن الآستانة قانوناً يحاول تطبيقه على ابن حوران وهذا كان الاختلاف في الحاجيات طبعاً بين تركي وعربي وأوربي وآسيوي. ولذلك جاءت قوائم الدروس الجديدة في المدارس الابتدائية والثانوية في الولايات العربية مثل دروس الولايات التركية لا أثر فيها لتعليم العربية إلا أن يكون قراءة القرآن في الصفوف الابتدائية يتلى فيها بلا فهم ولا علم.

وأكبر دليل على أن نظارة المعارف العثمانية جاهلة بطبائع البلاد أنها أسست مدرسة لتخريج المعلمين في دمشق ولم تذكر اسماً فيه لتعليم العربية لغة الدين والبلاد وجعلت الجهد كله مصروفاً إلى تلقين التركية حتى لا يعلم الأساتذة الجدد إلا ما تعلموه ويكثر عدد العارفين بالتركية والمتحنين من لغتهم فلا يأتي زمن خصوصاً متى أصبح التعليم الابتدائي إجبارياً إلا وقد أهمل العرب لغتهم بتاتا.

صرحنا بهذا وإن كان فيه غضاظة كبرى على العرب الذين لم يستفيدوا من حرية
الدمور حتى الآن وينشئوا على الأقل كتائب منظمة لتلقين لغتهم من أسير الطرق حتى
ينزعوا بعد الآن بأولادهم حق النفع ولا يفقدوا عدداً كبيراً ممن يدخلون مدارس
الأجانب فتحل وطنيتهم تضعف لغتهم. أما مؤسسو تلك المدارس أجنبية كانت أو أميرية
فإنهم يعذرون لنسب الذي أوردناه آنفاً وهو أن القوي يريد أن يستغرق الضعيف سنة
من سنن الكون. ولم يبلغ البشر درجة راقية من الصدن حتى تتساوى في عيولهم اللغات
والعناصر كلها وتجرد أمة فتغنى لإحياء غيرها وتقلل من جنبها لتزيد سواد الآخر ولا
تهدم دارها وتريد هدمها لتعمر بأنقاضها دار جاراها والسلام.

جبل الدروز وفتحهم

إلى الجنوب من دمشق على نحو عشرين ميلاً منها كورة واسعة محصنة اسمها حوران فيها
نحو ستائة قرية وفي شرقي تلك الكورة إقليم ممرع فيه السهل والجبل إلا أنه أطلق عليه
اسم جبل حوران كما يقال له جبل الدروز الآن لأن معظم سكانه منهم وهو يعتمد من شمالي
حوران إلى جنوبيه ويحده من الشمال النجاة وهي أرض بركانية ذات حرار وعرة للغاية
ومن الشرق البادية ومن الجنوب قفر مترامي الأطراف يتصل بوادي الحجاز ومن الغرب
الجنوبي النقرة والنقرة سهل جيد التربة في وسط حوران.

وطول هذا الجبل نحو ١٥ ساعة على راكب المطايا و ٨ ساعات وهو من الجهة الجنوبية
والجهة الغربية أي نحو ثلاثة أرباعه سهل خصيب تضاهي تربته تربة السهل من بلاد
حوران وغوطة دمشق والبقاع العزيز وربما كانت أسحن منها وفيه ١٠٨ قرى يقدر
نفوسها على التخمين بخمسين ألف نسمة وربما استطاع حمل السلاح منهم نحو ثمانية آلاف

ومنهم الذين يشنون الغارات ويقتلون الأبرياء ويسلبون المارة وإقنيهم هو الإقليم الوحيد في سورية بأسرها الذي أزمّت فيه الفوضى وأحب أهله على قريهم من الحواضر ووفرة غناهم بزراعتهم أن يعيشوا عيش السلب والنهب والقتل يؤذون من خالفهم من مجاورهم ويطنون أيدي اعتدائهم على أبناء السبيل ويناثون الحكومة ويعصون قوانينها فلا يؤدون الضرائب الأموية والخراج ولا يخدمون الجندية وإذا لم يجدوا من يقتلونه ويمثلون به يقتلون بينهم كأنهم يتعدون بإهلاك العباد والعيث بالفساد في البلاد.

وآخر عمل فطّيح قاموا به أنهم غزوا جيراهم من أهل قريتي معربة وغصم وسكانهما مملكون مسجون فقتلوا ٥٩ رجلاً وجرحوا ثلاثة بين القتلى أربع نساء بينهن والدة الشيخ معربة وزوجته وأخذوا القسم الأعظم من السهوة وجيزة وسماقية وطيسة من بلا السهل فطّيح كأسر الصبر منهم ولم تر الدولة بدءاً من إرسال حمّة عنهم تؤدب عصاقهم وتضرب على أيدي الفوضويين والعديمين هم وتؤلف شاردهم وتؤمن خائفهم وتخضعهم للقوانين كسائر الأفراد العشائين.

ولعل كثيرين يتساءلون عن تاريخ عمران هذا الجبل ونزول الدروز فيه فالمعروف من حاله أنه كان في الدولة القديمة تابعاً لحوران تشهد بذلك الآثار القليلة الباقية إلى اليوم في بعض أمهات قراه مثل السويداء قاعدته القديمة وصرخد وقنوات فإن الكتابات اليونانية واللاتينية والنبطية والعربية المكتوبة بخط سباء تدل على أنه كان عامراً للغاية.

وفي السويداء بل في أكثر قرى الجبل على ما انتهأ من الحرب والتدمير بعض الآثار اليونانية والرومانية مثل القناة والمعبد والمسلة يظن أنها من القرن الرابع والخامس لنيلاذ والجامع الحرب المزبور عليه بعض كتابات يونانية والخزان الكبير لجمع الماء الذي أنشئ

على أكمة تشرف على السويداء وعلى طريق قرية القنوات جسر مهم للغاية جعل على عمد هائلة يظن أنه من القرن الأول وأنه كان ناووساً.

والظاهر من عاديّات قنوات أنها كانت أهم من بصرى قاعدة بلاد حوران كلها وكان فيها أبرشية لزروم ولا تزال بعض الطرق هناك مبلطة ببلاط كبير من عوادي الأيام ومعظم الدور محفوظة كما كانت بنوافذها وأبوابها الحجرية.

ومن الآثار التي تجلب الأنظار ذلك المسرح التياترو الجميل الذي قام على يمين الوادي وأكثر منحوت في الصخر وقطره نحو ١٩ متراً وفيه تسعة صفوف أسفل على متر ونصف تحت المنعب وفي وسطه حوض ماء وهو مظل على الوادي ومصانع المدينة وجبل حرمون (الشيخ) وفي مكان شاهق آثار معبد ذي أدراج في الصخر تؤدي إلى برج أصم ربما كان جزءاً من حصن مشرف على المضيق ويستدل من البنية السفلى أن تاريخها يرد إلى ما قبل عهد الرومان وعلى ميلة قليلة نحو الشرق برج عظيم مدور دائرته ٢٥ متراً وربما كان برجاً للدفن الموتى وهناك بعض خرائب كنائس وجادات وأروقة وأرتجة وبعض قطع من هياكل وقماثيل وملاعب.

وعلى ثلاثة أرباع الساعة من قنوات في الجنوب الشرقي قرية سالة وفيها معبد من أهم معابد حوران تشبه هندسته معبد هيرود في القدس وفيه من رسوم الأسود والغزلان والخيول المسرجة وغيرها ما يأخذ بمجامع القلوب. وهناك أيضاً مذبح في سفح درجات المعبد وكان هذا المعبد خاصاً بعبادة إله السماء ومن الآثار المهمة آثار شهبا وطرقها معبدة واسعة تكاد تكون أوسع طرق حوران وقد يبلغ عرض الشارع فيها سبعة أمتار وستين سنتيمراً.

وليس في الأيدي ما يمتد من على منزلة تلك البلاد من العمران على عهد العرب وكانت قبيل الإسلام منازل قبائل بني غسان كنا كانت البلاد المجاورة لها فقد بنى النعمان ابن المنذر الغساني من منوك القرن الرابع للبلاد قصراً في السويداء بقي منه في بعض جهاته ووجدت في صرخد صخرة اللات التي عبدها الأنباط والعرب كما ذكر هيرودوتس وعليها كتابة تدل على أنها نصبت لذي الشرى وهو معبود نبطي له آثار في بصرى وبتره (وادي موسى).

والغالب أن صرخد حازت في الإسلام مكانة أعظم من مكانة السويداء فبالغ المنوك بتحسين قنعتها ليدافعوا عوادي البدو عن القرى العامرة وقد كثر ذكرها في كتب التاريخ على عهد الدولة الصالحية ومن بعدها من دول الجراكسة خصوصاً بعد أن استولى على الكرك والشوبك وغيرها من الحصون المجاورة الملك الناصر السلطان صرح الدين بن أيوب وولى أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب عليها فأصبح لتلك المدينتين شأن عظيم حتى عدت الكرك من الممالك مثل مملكة بعلبك ومملكة حماة ومملكة شيزر وغيرها ومعظم هذه الممالك أصبحت فيما بعد قرى حقيرة في القرون الأخيرة لغلبة الجهل على الحكومات التي تعاورتها ولقلة الأمن وانتياح الغارات والزلازل والأوبئة التي اجتاحت سكانها.

ويؤخذ مما رواه أبو الفداء صاحب حماة أن بلاد صرخد وما والاها وبعبارة أخرى جبل الدروز كانت تدعى في عهده أي في القرن الثامن بمجبل بني هلال قال:

صرخد بلدة ذات قلعة مرتفعة وليس لها سوى ماء المطر في الصهارير والبرك وهي قاعدة جبل بني هلال وليس وراء عملها من جهة الجنوب والشرق إلا البرية ومن شرقها تسلك طريق يعرف بالرصيف إلى العراق وهذا الرصيف بين صرخد وبغداد عشرة أيام. وقلعة صرخد شاهد أيد الدهر بعظمة تلك البلاد وهي كما قال الثقات أضخم وأهم من قلعة حلب اهـ.

وقد جدد الملك الظاهر بيبرس فيما جدد من المصانع في بلاده ما تقدم من قلعة صرخد وجامعها ومساجدها وكذلك فعل ببصري وعجلون والصلت وكانت قلعتا كوكب وعجلون لعز الدين بن أسامة وكان هذا ملك صرخد سنة ثمان وستمائة للهجرة وقال ابن خلكان: إنه ملك صرخد سنة إحدى عشرة وستمائة وقال لأن أستاذة الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب حج في السنة المذكورة وأخذ صرخد من صاحبها ابن قردجة وأعطاه ممنوكة أيك والظاهر أن الأول أصح واستمرت في يد أيك إلى سنة أربع

وأربعين وستمائة فأخذها الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل من أيك المذكور. ومن تمك صرخد أقوش الأفرم أحد أمراء بني أيوب.

ومكن الأدلة على استحار العمران في الجبل أنه نشأ بعض أمهات مدنه أعلام ومشاهير ومنهم عز الدين السويدي من أهل القرن السابع كان عالماً عاملاً ويونس بن إبراهيم ابن سليمان الصرخدي النحوي النفوي ٦٩٨ وإبراهيم بن سليمان التميمي الصرخدي الفقيه خطيب صرخد مات فيها سنة ٦١٨ وبدر الدين السلخني قاضي غزة نس نسبة إلى صرخد أيضاً وبعضهم يقول صلخد وسلخنة والأصح صرخد فيما نرى والروايات

الثانية تحريف طراً مثله على بندان كثيرة في سورية مثل عربيل فيقولون عربين وجماعين لاستعمالهم النطق بالنون أكثر من اللام.

قال ابن أبي أصيبعة: حدثني نجم الدين حمزة بن عبد الصرخدي أن نجم الدين القمرائي وشرف الدين المتاني وقصيرا ومثان هما قريتان من قرى صرخد قال كانا اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكمة وتميزا واشتهر فضلهما وكانا قد سافرا البلاد في طلب العلم ولما جآ إلى الموصل قصدا الشيخ كمال الدين بن يوسف (الفيلسوف العلامة) وهو في المدرسة يلقى الدرس فسلما وقعدا مع الفقهاء ولما جرت مسائل فقهية تكلمنا في ذلك وبحثا في الأصول وبأن فضلهما على أكثر الجماعة فأكرمهما الشيخ وأدناهما ولما كان آخر النهار سألاه أن يريهما كتاباً له كان قد ألفه في الحكمة وفيه لغز فامتنع وقال: هذا كتاب لم أجد أحداً يقدر على حله وأنا ضنين به فقالا له: نحن قوم غرباء وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز بنظرك والوقوف على هذا الكتاب ونحن باثنون عندك في المدرسة وما نريد نظائله هذه الليلة بالغداة يأخذه مولانا وتلفظاً له حتى أنعم لهما وأخرج الكتاب فقدا في بيت من بيوت المدرسة ولم ينأما أصلاً في تلك الليلة بل كان كل واحد منهما يمني على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقابلاه ثم كررا النظر فيه مرات ولم يتبين لهما حنة إلى آخر وقت وقد طنح النهار فظهر لهما شيء منه من آخره واتضح أولاً فأولاً حتى انحل لهما اللغز وعرفاه فحملوا الكتاب إلى الشيخ وهو في الدرس فجلستات وقالوا: يا مولانا ما طلبنا إلا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي يعسر حله وأما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان واللغز الذي فيه عنده عندنا قديم وإن شئت أوردناه فقال قولاً حتى أسمع فتقدم النجم

القصراوي وتبعه الآخر وأود جميع معانيه من أول الكتاب إلى آخره وذكرنا حل النفر
بعبارة حسنة فصيحة فعجب منهما وقال: من أين تكونان قالا: من الشام قال: من أي
موضع منه قالا: من حوران وقال: لا أشك أن أحدكما النجم القصراوي والآخر الشرف
المتاني قالا: نعم فقام لها الشيخ وأضافهما عنده وأكرمهما غاية الإكرام واشتغلا عليه
مدة ثم سافرا.

وهذه الرواية تدل كل الدلالة على انتشار العلم في هذه المزارع في القرون الوسطى
وأمتان بلد شرف الدين المتاني قرية موجودة إلى ال يوم أما قنرا فهي قميصة خربة واقعة
إلى الجنوب من صرخد عنى مسافة ساعتين ومنها الفقيه موسى القصراوي أديب مناظر
حاذق توفي سنة ٦٢٥ ومن شعره:

لما تبدى بالسواد حسبه ... بدراً بدا في ليلة ظنماء

لولا خلافته على أهل الهوى ... لم يشتهر بملابس الخنفاء

ومن قرى صرخد العرمان بتشديد الراء وفتحها والعامّة اليوم تخففها قال ياقوت: أنشدني
أبو الفضل محمد بن مياس العرّامي من ناحية صرخد من عمل حوران من أعمال دمشق
لنفسه.

يعادي فلان الدين (؟) قوم لو أنهم ... لأخصه ترب لكان لهم فخر

ولكنهم لم يذكروا فعندوا ... عدواته حتى يكون لهم ذكر

وأنشدني أيضاً لنفسه:

ولما اكتسى بالشعر توريد خده ... وما حاله إلا نزول إلى حال

وقفت عليه ثم قلت مسلماً ... ألا نعم صباحاً أيها الطلل البالي

وأنشدني أيضاً لنفسه بمدح صديقه موسى القسرواي وقبرى قرية من قرى حوران أيضاً
قرية من قرية العرمان:

أصبحت علامة الدنيا بأجمعها ... تشدُّ نحوك من أقطارها النجب

بأن على كبد الجوزاء منزلة ... تحفها من جلال حولها الشهب

ما نال من نالت من فضل ومن شرف ... سراة قوم إن جدوا وإن طنبوا

وفي الجبل إلى اليوم قريتان باسم نجران قال ياقوت أن نجران موضع بحوران من نواحي دمشق وهي بيعة عظيمة عامرة حسنة مبنية على العمد الرخام منقطة بالفسيفساء وهو موضع مبارك ينذر له المسلمون والنصارى ولندور هذا الموضع قوم يزورون في البلدان ينادون من نذر نذر نجران المبارك وهم ركاب الخيل وللسلطان عندهم قطعة وافرة يؤدونها إليه في كل عام. وقال مثل ذلك في دير نجران أيضاً وما ندري إن كانت نجران هذه هي نجران جبل حوران أم هي واقعة في السهل من قرى بصر الحرير.

وتبين مما تقدم أن العبران قديم في هذا الجبل وليس في الأيدي نصوص يركن إليها النهم إلا إذا كان شيء في بطون التاريخ والجغرافيا جاء بالعرض ولم تمتد إلى معرفته وقد كان سكانه على ما مر بك آنفاً مسلمين ومسيحيين ولم يتزل الدروز إلا في القرون المتأخرة ويقول أحدهم أنهم رحلوا إلى جبل حوران منذ نحو مائتين وعشرين سنة أيام ابتداء قوم من دروز لبنان يهاجرون وأولهم أسرة بني حمدان التي بطش بها التوحيون أمراء لبنان ومنذ ذلك الحين أصبح كل من يغلب في الحروب القيسية والينية في لبنان ومن عضه الدهر بنابه أو غضب عليه الحاكم يرحل إلى ذلك الجبل ثم انضم إليهم أناس من دروز وادي التيم وصفد وجبل الأعنى والقيطرة وجوار دمشق.

نزل الدروز هنا وهم مستضعفون وفقراء وما زالوا يطردون المخالفين من سكان البلاد الأصليين بالقوة ويستصفون أملاكهم ومنها ما هو إلى اليوم من أرباب البيوتات في دمشق وبأيديهم صكوك بمنكتهم لها حتى كاد الجبل إلا قليلاً جداً يكون لطائفة الدروز وزعمائهم بنو الأطرش وبنو الحنبي والمغوش وعامر وناصر والعزام توزعوا على القرى ومن أكبر زعمائهم بنو الأطرش وبينهم وبين بني مقداد المسنين سكان بصرى وما جاورها طوائف قديمة يتربص كل منها لجاره الدوائر منذ نحو قرن ويعتقد الطرشان أن بني مقداد هم الحائل دون تعليمهم حدود جبلهم ولولاهم لا امتد سلطانهم على سهول حوران فاستأثروا بها كما استأثروا بهذا الجبل.

وأول الوقائع التي قام بها الدروز في الجبل وتمت لهم الغلبة وقعت بينهم وبين إبراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٠ في جنوبي النجاة كبت فيها الهزيمة للمصريين وقتل منهم الفريق محمد باشا وغيرهم من قوادهم وفي سنة ١٨٣٨ أنفذ إبراهيم باشا أحد رجاله شريف باشا في أربعائة فارس إلى قرية أم الزيتون في محل يعرف بوادي اللواء على نحو خمس ساعات عن السويداء لتجنيد الدروز فقتلهم الشيخ حمدان الدرزي عن آخرهم ولم يبق إلا على مقدمهم. وكذلك جرى لمحمد باشا القيصري فتم يظفر بهم.

ومنذ ذلك العهد اعتصموا بجبالهم ونشأ لهم شيء من الاستقلال عن الحكومة وأيقنوا بأنها تخاف بأسهم وتحب لهم ألف حساب وزاد سوادهم وقوتهم في حوادث الستين وقد هاجر إليهم من لبنان كثير من أبناء مذهبهم فاعتزوا بهم خصوصاً بعد أن ثبت أن الذين أوقدوا نار فتنة النصارى منذ خمسين سنة وانتهت بقتل وصلب مئات من أهل دمشق

المسلمين ولم يكدر للدروز خاطر ولم يأسأ لوا عما ارتكبه في تلك الفتة الأهلية من
الفظائع.

وما برحوا يفحشون القتل والمذبحة والتخريب منذ حادثة الستين لأن الحكومة
استعملتهم إذ ذاك واستعملوا لها بواسطة بعض الدول آلة لقصد تريده عني ما يؤكد
العارفون. ولقد قتلوا من جند الدولة والأهالي المساكين ما لو أحصى لبنغ مقداره نصف
سكان الجبل اليوم. ووقائعهم في قرية أم ولد وقرية الكرك وقرية كحيل والحراك وبصر
الحرير وبصرى إسكي شام وجوارها وقرية المليحات ومع عرب المعجل وعرب السرحان
وعرب الخريشة وعرب ولد عني وغيرهم مشهورة إلى الآن عني الألسن دغ عنك نحو
عشرين قرية اغتصبها الدروز من الحوارنة في قضاء عاهرة وقضاء السويداء وقضاء
صرخد وهي أفضية الجبل اليوم التابعة لمركز اللواء الذي كان أول أمس شيخ سعد
فأصبح أمس شيخ مسكين واليوم غدا درعا.

تعم لم يكن سكان جبل الدروز كما قال عارف بأحوالهم منذ أربعين سنة إلا أقل القليل
من سكانه فالجهة الجنوبية أي قرى صرخد وجوارها كانت بأيدي المسلمين والمسيحيين
من أهالي حوران والقرى الغربية كانت بيد جملة الزعينة من حوران إلى أن اعتاد أشقياء
دروز لبنان وحاصبيا وراشيا أي وادي التيم وعكا وصفد والقرى المجاورة لدمشق
والقيطية ومن اعتادوا القتل والنهب وقطع الطريق وتعذرات عليهم الإقامة في بلادهم
أن يعتصموا في هذا الجبل فضاقت عليهم قراهم الأصنية فجمعوا الحوارنة عن بلادهم
وأصبح جنهم منجأ الأشقياء.

أما وقتعهم المشورة فكان أولها سنة ١٢٩٥ شرقية بينهم وبين أهالي بصر الحرير فسأقت الدولة إليهم قوة إلى موقع القراصنة ولما لم تحسن الإدارة زاد الدروز جرأة إلى أن كان سنة ١٢٩٧ شرقية وقد هجموا على قريتي الكرك وأم ولد وذبحوا سكانها عن بكرة أبيها حتى الأطفال الرضع فكانوا يفسخوهم قطعين ثم سبقت عنهم قوة بقيادة المشير حسن فوزي باشا أسفرت عن ربط دية شرعية مسقطاة على الدروز وتأسيس قائم مقامية جبل الدروز وجعلها ثمان نواح وتعين قائم مقام ومديرين للنواحي منهم.

وما برحوا يشغلون الحكومة فترسل عنهم الحملات كل مدة ويراوغون ثم يستعطفون رجالها بالكذب والرشى تارة وتارة يتحد أشقياء الم القرن القبلي مع عرب السردية فيغزون قرى بني صخر والحويطات والسرحان وقرى حوران الجنوبية وينضم أشقياء الم القرن الشرقي إلى عرب الصفا يغزون تجار بغداد والزور وأشقياء الم القرن الشمالي يتحدون مع عرب الحسن ويغزون قرى جبل قنبون والنبك وهمس ويتحد بعضهم مع عرب النجاة يسبون قرى جبل حوران وتارة يقتلون الموظفين ويمشون بالمكر ولا يدفعون الأموال وينهبون التجار حتى أرسلت عنهم الحكومة حنة مهنة سنة ١٣١١ رومية فضربتهم ضربة لو وضعت بعدها الإصلاحات الإدارية المعتبرة ولم تعف بعد قليل عن زعمائهم لاستقام الأمر ولم يعودوا إلى سالف أحوالهم حتى صيف هذه السنة.

أحلّ أشقياء الدروز في حوران قتل من خالفهم والاعتداء على مجاورهم وعلى القوافل الآتية من العراق ونجد حتى كادت التجارة تنقطع بين أقطار العراق ونجد والشام بسبب غاراتهم على الأقاليم المجاورة وخربوا جانباً عظيماً من القرى والمزارع وأخذوا المواشي وسفكوا الدماء حتى الجأ إليهم كل من عصا الدولة والمكر الفار من الجنديّة والأشقياء

وخربت بأعمالهم كثير من الثرى والمزارع وأصبحوا بفعلاتهم يحولون دون امتداد العمران في أطراف هذه الولاية ولولاها لاستفاض عمرانها ولاسيما من جهة الشرق والجنوب عمراناً تزيد مساحته على ولاية عظمى من الأرض المبتة ولكفت ملايين من المهاجرين وأهل البادية.

أما الفوائد التي ستجني من إدخالهم حظيرة الطاعة فامتداد العمران الى الجنوب مراحل كثيرة حتى يبلغ من الأزرق إلى بلاد الكرك بل قرى المنح إلى الجوف فينتفع بما فيها من المياه المعطنة ويعتمد من جهة الشرق إلى تدمير مسافة عشرة أيام. وتدمر هيب المدينة المعروفة بتاريخها الجيد. ويتصل بجهة الشمال ببلاد حماة وحنبل. ولعل هذا البحث لا يصدر إلا وقد أخذ أولئك العصاة إلى السكون بمهمة قائد الحملة العام سامي باشا الفاروقي فيضع لهم أساساً راسخاً في الإصلاح لا يتمكن أحدهم من نقص عروته ويعاملون في عهد المستور بما لم تكن الدولة تعاملهم به في عهد الاستبداد ويشترط هذا الجرح النगर بل الآكلة الزمنة في جسم سورية بمشراط الجراح الماهر الذي أحنت الحكومة ظنّها به في هذه المهنة فيصبح جنلهم منتاب المصطافين كما أصبح جبل لبنان من قبل فجبل حوران ليس دون جبل الشيخ وجبل قننون جبل النكام وغيره من الجبال السورية بموائه ومائه ويزيد عليه خصب تربته وبعده عن الرطوبة هذا ويقل الماء الجاري في جبل حوران وأكثره ينابيع قليلة تكاد تك في لشرب الشفة فقط أما الزروع فلا تنمو بالسقيا بل تنمو بماء السماء كسائر بلاد حوران وحدث ما شئت أن تحدث عن خصب التربة فإن الحبوب تجود فيه كل الجودة وتقل الأشجار فيهم النهم إلا الكرم والتين وبعض السنديان والزنان وأكثر الغابات لم يبق منها إلا جذوع أشجارها تجدها بالقرب من

السويداء وسهوة الخضر وسهوة بلاطة ومياماس وابي زريق وساله وقنات وعتل في ذروة الجبل أي في طرف قليب حوران ولم يبق إلا شجرات معدودات بين قنات والجبل والله أعظم.

أصل الدروز

ينسب الدروز إلى رجل يقال له محمد بن إسماعيل الدرزي كان أحد أصحاب دعوة الحكام بأمر الله العبيدي ويسمى في كتب هذه الطائفة نشكين الدرزي والدرزي بالفتح معناه الخياط فارسي معرب والعامية تضم الدال ويقولون في الجمع الدروز والصواب الدرزة محركة. أما الحاكم هذا فإنه سادس خليفة من خلفاء الدولة العبيدية ويقال لهم الفاطميون ولقبه الحاكم بأمر الله وكنيته أبو علي واسمه المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهدي.

واختلف المؤرخون في صحة نسبهم فبعضهم صححه وجعله متصلاً بفاطمة الزهراء عليها السلام ونسب عبيد الله المهدي إلى محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكنوم ابن إسماعيل بن جعفر الصادق. وطعن أكثر العلماء والمؤرخين في هذه النسبة وجعلوا نسبهم متصلاً بالحسين بن محمد بن أحمد القداح وكان مجوسياً وقيل يهودياً فقالوا أن أهم فاطمة بن عبيد اليهودي واسم المهدي هذا سعيد ولقبه عبيد الله وزوج أمه الحسين ابن محمد بن أحمد بن عبيد الله القداح بن ميمون بن ديسان وقيل هو سعيد بن أحمد بن عبد الله القداح بن ميمون وميمون هذا هو صاحب كتاب الميزان في نصره الزندقة كان يظهر التشيع لآل البيت ونشأ لميمون عبد الله وكان يعالج العيون التي نزل إليها الماء بالقدح (هو إخراج الماء الفاسد منها) وتعلم عبد الله من أبيه ميمون الحيل وأطنعه أبوه عنى

أسرار الدعوة آل البيت ثم سار القداح من نواحي كرج وأصفهان إلى الأهواز والبصرة ثم إلى سنبة من أعمال سوريّة يدعو إلى آل البيت.

ثم توفي القداح وقام ابنه أحمد مقامه وتوفي أحمد وقام مقامه ابنه محمد ثم قام بعده ابنه الحسين وكان ببغداد فسار إلى سنبة حيث كان له بها ودائع وأموال من ودائع جدّ عبد الله القداح وكان يدعي أنه الوصي وصاحب الأمر والدعاة باليمن والمغرب يكتبونه ويراسلونه واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها وهي في غاية الحسن والجمال فتزوجها الحسين المذكور ولها ولد من اليهودي يماثلها في الجمال فأحبها وأحب ابنها وأدبه وعلمه العلم فعلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد إلى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد الله المهدي وعرفه أسرار الدعوة من قول وفعل وأعطاه الأموال والعلامات فدعا له الدعاة.

قال ابن خلدون: ولا يلتفت لإنكار هذا النسب لأن إغراء المعتضد لابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بـلجـاسة بالقبض على عبيد الله لما سار إلى المغرب وشعر الشريف الرضي في قوله:

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صارم وأنف حي
ألبس النذل في بلاد الأعداء ... ومصر الخليفة العنوي
من أبوه أبي ومولاه مولا ... ي إذا ضامني البعد القصي
لف عروقي بعرقه سيد الن ... اس جميعاً محمد وعني
إن ذلي بذلت الجد عز ... وأمي بذلت الربع ري

شاهد بصحة نسبهم وأما الخضر الذي ثبت بعداد أيام القادر القلاح في نسبهم وشهد فيه أعلام الأئمة فهي شهادة على الساع.

وبدأت دولة الفاطميين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين إلى سنة سبع وستين وخمسمائة وفي أيامهم كثرت الرافضة واستحكم أمرهم ووضعت المكوس على الناس واقتدى بهم غيرهم وأفسدت عقائد طوائف من أهل الجبال الساكنين في تغور الشام كالنصيرية والدرزية. والحشيشية من نوعهم.

وكانت أحوال الحاكم بأمر الله متناقضة فعنده شجاعة وجبن ومحبة للعلماء وانتقام منهم وميل إلى أهل الصلاح وقتلهم وسخاء وبخل بالقليل. لقب نفسه الحاكم بأمر الله ولما زاد ظلمه عن له أن يدعي الإلهية اقتداءً بفرعون فأخذ يمهّد لذلك المقدمات فنقب نفسه الحاكم بأمره وأمر الخطباء بأن يقرءوا بدل البسمة (باسم الحاكم الخبي المبيت) وصار يدعي علم المغيبات باتفاق اعتمده من العجائز النواقي يدخلن بيوت الأمراء وعنده من دعائه رجلان أعجبيان من دعاة الباطنية أحدهما يقال له محمد بن إسماعيل الدرزي وثانيهما يقال له حمزة بن علي بن أحمد أما الأول فإنه قلم إلى مصر في أواخر سنة سبع وأربعمئة ودخل في خدمة الحاكم ووافقته على إثبات دعوته بالإلهية وصنف له كتاباً كتب فيه أن روح آدم انتقلت إلى علي بن أبي طالب ومنه إلى أسلاف الحاكم متعصّة من واحد إلى آخر حتى انتهت إلى الحاكم وقرأ هذا الكتاب في الجامع الأزهر بالقاهرة فهجم الناس على مؤلفه ليقتلوه ففر منهم وحدث شغب عظيم في القاهرة ونهبوا بيت الدرزي وقتلوا كثيرين

من أصحابه فأرسله الحاكم سراً إلى بر الشام فقتل بوادي التيم بالقرب من جبل الشيخ وهناك نادى بالوهمية الحاكم وكان الأمراء التوخيون الذين أتوا من العراق إلى الشام من الباطنية ولذلك كانوا مسعدين لقبول دعوة الدرزي فانقادوا إليها ومن ذلك تسيتهم بالدروز. وقتل الدرزي المذكور في وقعة مع التمر سنة إحدى وعشرة وأربع مائة.

وثانيهما حمزة بن علي بن أحمد وكان وقع الخلاف بينه وبين الدرزي وبعده تقدم مكانه ودعا بالوهمية الحاكم فأجابه البعض واتخذ معبداً سرياً لعبادة الحاكم وجعل نفسه ثانياً له فهو مقدس ومحترم عند القائلين بالوهمية الحاكم ينقب عندهم بهادي المستجيبين وحنة القائم وغير ذلك. وهم يكرهون محمد الدرزي ويشتمونه ويكرهون التسمية باسمه لما أنه أراد أن يغتصب منصب حمزة ويتقدم عليه بما فعله كما يعلم من رسالة الغاية والنصيحة من كتبهم. ولما قتل الحاكم قرب حنوان زعم الدروز أنه خرج في ليلة منفرداً إلى البركة الزرقاء ومن هناك عرج إلى السماء متخفياً عن أعين الناس وكتب حمزة بعد وفاة الحاكم الرسالة المسماة بالسجل المعلق وعلقها على أبواب الجامع وفيها يقول أن الحاكم اختفى امتحاناً لإيمان المؤمنين وشرع حمزة يزرع في القلوب بذر الاعتقاد بالوهمية الحاكم وتوحيده وعبادته ويجمع هو وأتباعه في المبد السري يعبدون الحاكم حتى ثارت عندهم المسنون وظفروا بهم وطردهم فقروا من مصر ونزل بعضهم في الجبل الأعنى من الديار الحنية وبعضهم في جهة حوران ثم تفرقوا من هناك فذهب بعضهم إلى جبل الشوف والآخر إلى وادي التيم ولم يزلوا في نمو وازدياد إلى هذا العصر.

للدروز عادات قديمة توارثوها منها أن لهم قضاة منهم يحكمون في المعاملات المدنية الجارية بينهم على مقتضى الشريعة غير أنهم يخالفونها في بعض المعاملات بحكم العادة

الموروثة فلا يسوغ لأحدهم مثلاً أن يوصي بجميع ماله لأحد أولاده ويحرم الباقي من ميراثه إن كان هذا المال الموصى به من كسب يده وأما إذا كان منتقلاً عنه بطريق الإرث عن آبائه وأجداده فلا يسوغ له لأنه حينئذ يكون من حقوق الأسرة والأصول والفروع متساويان فيه فنلوثة استحقاق في تقسيم هذا المال.

ومنها أن المرأة لا تراث شيئاً من دار أبيها حتى أن هذه العادة سرت إلى مجاورتهم في الجبل من بقية الطوائف. وكذا يخالفون في النكاح والطلاق إذ لهم في ذلك أصول خاصة لا يجوز عندهم الجمع بين امرأتين فإن لم يطلق التي عنده لا يمكنه التزوج بغيرها وتطلق المرأة بأدنى سبب ولا يجوز عندهم رد المطلقة ولو كان بعد زوج آخر.

ويخالفون في عقائدهم عقائد الفرق من أرباب الديانات لكنهم يسترون بين المسلمين بالإسلام ويتزويون بزوي أمهه والأحرى أن نقول أنهم يتظاهرون بالتبعية لمن يكونوا تبعاً له وأما في الباطن فإنهم ينكرون الأنبياء عليهم السلام وينسبهم إلى الجهل وأنهم كانوا يشيرون إلى توحيد العدم وما عرفوا المولى ويشنعون بالطعن على جميع أرباب الديانات من المسلمين والنصارى واليهود والديانة الحققة عندهم هي عبارة عن توحيد الحاكم ويفترض عندهم صدق النسان بدل الصرم وحفظ الإخوان بدل الصلاة ولكن لا يجوزون مراعاة ذلك لغير أفراد منتهم.

ويقراءون القرآن ويؤولونه بتأويلات تناقض الشرع ويذهبون إلى قدم العالم تبعاً لبعض الفلاسفة ويقولون بالتناسخ معبرين عنه بالتمصص فالجسد يسمى قيصاً عندهم وإن الميت حين موته تنتقل روحه إلى من يولد وقتئذ فالأرواح الإنسانية لا تنتقل عندهم إلا قوالب إنسانية ويقولون أن الهوية الإلهية تنتقل في قالب وتحل في قالب آخر في كل عصر فتجلى

في كل زمن وتجلت أخيراً في الحاكم وأن حمزة أيضاً ظهر في كل عصر بقلب ففي زمان كان فيثاغورس الحكيم وفي زمان كان شعبياً وفي زمان كان سليمان بن داود وفي زمان كان المسيح الحق فهو النبي الكريم عندهم. وحمزة العصر الحندي هو سنان الفارسي.

ويزعمون أن القرآن قد أوحى حقيقة إلى سنان الفارسي وأنه كلامه ومحمد (عليه الصلاة والسلام) أخذه وتنقاه منه حتى زعموا بأن خطاب لقمان الذي خطب به ولده في معرض الوصية بقوله: يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن النكر هو خطاب سليمان خند والتعبير بالنبوة إنما هو من خطاب المعنم للنعم.

ويقسمون إلى قسمين العقال والجهال ويقال لهم أيضاً العوام ونسأهم أيضاً ينقسمون إلى قسمين عاقلات وجاهلات فيقال للعاقلة جويذة وللجاهلة غير جويذة والعقال طبقتان طبقة الخاصة هي التي يعتمد عليها ويوثق بها حقاً إذ أنها حصلت على تمام المعرفة بأسرار الديانة وطبقة العامة وهي التي يحسن الظن بها وأما الجهال فلا حظ لهم من الديانة سوى الدخول تحت اسم الدرزية وأينما وجد هؤلاء العقال تتخذ هناك معابد للعبادة تسمى بالخلوة وهي حجرة ضمن حجرة وفي كل ليلة جمعة يلتئم أهل كل طبقة في الخلوة الخاصة بهم ويجمعون جميعاً في الخلوة الخارجية فيقروءون شيئاً من المواعظ ومن هؤلاء العقال طبقة أتقياء يقال لهم المتزهون وهم مثابرون على العبادة والورع ومنهم من لم يتزوج ومنهم من لم يأكل لحماً مدة حياته ومنه من هو صائم كل يوم ولهم زيادة احتياط في التورع حتى أنهم لا يذوقون شيئاً من بيت أحد من غير العقال والعقال جميعهم يعتقدون أو أموال الحاكم والأمراء حرام فلا يأكلون شيئاً من طعامهم ولا من طعام خدمهم حتى ولا من طعام حمل دابة مشتراة من مال حاكم لكنهم يستحلون أموال التجار من أي جهة كانت

فإن حصل بين أيديهم شيء من مال اعتقدوا حرمة يذهبون به إلى أحد التجار فيبدلونه منه ويترهون ألسنتهم عن ألفاظ الفحش والبذاءة ويتجنبون الإسراف لأنه يورث نقصاً في أخلاق الموحدين عندهم.

ويحرص الدروز جداً على كتمان عقائدهم ولذلك يعبرون عن مرامهم في لغتهم ورسائلهم بطريق الرمز والكناية ويذكرون مباحث من علم الكلام وبعض مقالات غلاة المصوفة وتأويلات الرافضة والملاحدة وخصوصاً الإسماعيلية من غلاة الشيعة ثم أقام لاعتقادهم التناسخ وهو التكميل يزعمون أنه إذا مات أحد من كبار العقلاء الذين يعتقدون بولايتهم تذهب روحه إلى جهة الصين ويحل في قالب ولها يزعمون أن لهم وراء جبل الصين كثيراً من الأولياء ويعقدون أنه كان قبل عالم الإنس عالم الجن والجن والرم وعوالم أخرى ويقولون أنه كان قبل دور الحاكم دوراً وكل دور أربعة آلاف سنة أربعة ملايين وتسعمائة ألف سنة فيكون قد مضى من مبدأ الخليفة إلى دور الحاكم ثلاثمائة ألف سنة وثلاثة وأربعون ألف سنة ثلاثمائة وثلاثة وأربعون مليون سنة وأول الأدوار دور العني وآخرها دور الحاكم وهو دور القيامة ويشبتون لكل دور من السبعين دوراً سبعة نطاء وسبعة أوصياء وسبعة أئمة فيكون مجموع النطاء لجميع الأدوار أربعمائة والأوصياء كذلك والأئمة كذلك والناطق هو الرسول والوصي هو الأساس ويقولون أن أصحاب التكليف في كل عصر ستة كذا كانوا أولوا العزم خمسة في كل دور كما أنهم خمسة في هذا الدور الأخير قالوا وإنما كانوا خمسة لا غير لأن القوة في النهاية عند الخامس من كل شيء ففي المقامات الربانية كانت عند الخامس وهو الحاكم وفي النطاء انتهى العزم عند الخامس (يعنون به محمداً عليه الصلاة والسلام) وفي

الأوصياء عند الخامس (يعنون به علياً كرم الله وجهه) وفي الأئمة عند الخامس (يعنون به محمد بن عبد الله القداح) وينتظرون ظهور يأجوج ومأجوج من داخل الصين ويحترمونهم ويقولون يأتي هؤلاء القوم الكرام بألفي ألف وخمسة ألف من العساكر إلى مكة وفي صباح اليوم الثاني يتجنى لهم الحاكم بأمره من ركن البيت البقاعي ويهدد الناس بسيف منعب في يده ثم يعطيه حمزة وهو أيضاً يقتل الكذب والخير ثم يهدم الكعبة ويعطي الدرور حكومة الأرض جميعها ويستخدم بقية الناس في حكم الرعية.

وبعد فإن لهم مواجب دينية وفرائض توحيدية أوجبوا على جميع أهل منهم حفظها ومعرفتها والعمل بها وسترها عن غير أهلها وهي أربع وخمسون فريضة. منها عشر مقامات ربانية وهم العلي والبار وأبو زكريا وعني المعلن والقائم والمنصور والمعز والعزير والحاكم وكنهم إله واحد. ومنها أربع تظاهر الباري بها وهي الهيئة والاسم والنطق والفعل فالهيئة هي الصورة التي ظهر بها والاسم هو اسم الحاكم الذي تسمى به والنطق هو الجالس والسجلات التي يتكلم بها وتصدر عنه والفعل هي المعجزات التي كانت تصدر منه كقهر منوك وقتل الجبابرة وظهوره بين الأعداء وحده وخروجه أيضاً وحده في أنصاف النبائي وظهوره في الحر الشديد وقت الهجرة مع عدم تأثير الشمس في وجهه وعدم رؤية ظل له في ضوء الشمس والقمر وغير ذلك من الأمور التي ذكروها معجزات له في كتبهم كالسيرة المستقيمة ومجرب الزمان وغيرهما.

ومنها عشر فرائض توحيدية الأولى معرفة الباري وتربيته عن جميع المخنوقات الثانية الإمام قائم الزمان وتمييزه عن سائر الحدود الروحانيين الثالثة معرفة الحدود الروحانيين بأسمائهم ومراتبهم وألقابهم وإن قائم الزمان أولهم وهو الذي نصبهم وهم مطيعون لأمره

وفيه الرابع صون اللسان الخامسة حفظ الإخوان السادسة ترك عبادة العدم السابعة التبرؤ من الأبالة الثامنة التوحيد لتبولى في كل عصر وزمان التاسعة الرضى بفعل العاشرة التسليم لأمره وهي مذكورة في رسالة ميثاق النساء ورسالة البلاغ والنهاية.

ومنها عشرة مواجب دينية وهي كن لمن في نفاسهم وأعراسهم وجنائزهم على السنة التي رسمت لهم فهذه ثلاثة الرابعة أجيوا دعوتهم الخامسة اقصوا حاجاتهم السادسة اقبلوا معذرتهم السابعة عادوا من ضامهم الثامنة عودوا مرضاهم التاسعة يروا ضعفاءهم العاشرة انصروهم ولا تخذلوهم وهي في رسالة التحذير والتنبه.

ومنها عشرون إمامية منها أربعة أنواع النوع الأول أسامي وهي خمسة الأول علة العلل الثاني السابق الحقيقي الثالث الأمر الرابع ذومعة الخامس الإرادة النوع الثاني طبائع جوهرية وهي خمس الأولى حرارة العقل الثانية قوة النور الثالثة سكون التواضع الرابعة برودة الحكم الخامسة ليونة الهيولى فهذه الخامسة هي العقل وطبائعه الأربعة وهي في رسالة كشف الحقائق.

النوع الثالث خصائص نورانية وهي خمس الأولى الحمد لمن أبدعني من نوره الثانية وأيدني بروح قدسه الثالثة وخصني بعلمه الرابعة وفوض إلي أمره الخامسة وأطنعني على مكنون سره فهذه من كلام حمزة وهي في أوائل رسالة التحذير والتنبه.

النوع الرابع منازل كلية وهي خمس الأولى حد الجسانيين الثانية حد الجرمانين الثالثة حد الروحانيين الرابعة حد النفسانيين الخامسة حد النورانيين فهذه المنازل الخمسة هي مجتمعة في الإمام وهي مذكورة في السيرة المستقيمة.

وأما تلقي الديانة وأخذها فله عندهم كيفية مخصوصة وهي أنه إذا أراد أحد من الجهال أن يأخذ الديانة ويدخل في سلك الموحدين ينبغي له أن يستجلب رضى الموحدين بتقديم الوسائل العطفية مدة لا تقل عن ستين يتمس منهم قبوله وإدخاله في جماعتهم وإعطاءه الديانة فإذا قبضه أدخلوه على الإمام فيوصيه بحفظ السر وعدم إشهاره وبأمره بتحرير العهد الواجب تحريره إذ لا يكون موحداً خالصاً بغير تحرير العهد على نفسه فإذا حرره وسأله إلى الإمام صار واحداً منهم والعهد الذي يجب تحريره هو المصطور تحت العنوان الآتي:

ميثاق ولي الزمان.

توكلت على مولانا الحاكم الأحمد الفرد الصمد المزه عن الأزواج والعدد أقر فلان بن فلان إقراراً أوجب على نفسه وأشهد به على روحه في صحة من عقله وبدنه وجواز أمره طائفاً غير مكره ولا محبر أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة وأنه لا يشرك في عبادته أحداً مضى أو حضر أو ينتظر وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله ساءه هذا أم سره ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه وأشهد به على روحه وأشار به إلى غيره وخالف شيئاً من أوامره كان بريئاً من الباري المعبود وحرر الإفادة من جميع الحدود واستحق العقوبة من البار العني جل ذكره ومن أقر أن ليس له في السناء إله معبود ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين

وكتب في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا من سني عبد مولانا جل ذكره ومملوكه
حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيب المنتقم من المشركين والمرشدين بسيف مولانا جل
ذكره وشدة سخطانه وحده امـ.

السجل المعلق

من المخطوطات المضمون بها عند الدروز السجل الذي كتبه حمزة بن علي هادي
المستجيب وكان سبباً لثورة الأفكار في مصر حتى هرب منها ونزل سورية ونشر بها
العقيدة الدرزية وهو أكبر القائلين بالوهمية الحاكم وهاك بعض فصول متنوعة تفيد
مطالعها في تمثيل حالة هذا القوم نشرها بحرفها. وهذا السجل هو مقالات متنوعة في
أغراض شتى فمن مقالاته مقالة: خير اليهود والنصارى وسؤالهم لمولانا الإمام الحاكم بأمر
الله أمر المؤمنين صلوات الله عليه من شيء من أمر دينهم باعتراض اعترضوه فيه إنكار
أنكروه عليه والجواب على ذلك بما اختصهم من القول وأسكتهم وانصرفوا مقهورين
والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم حدث من نثق به ونسكن إلى قوله مع
إشهار الحديث في ذلك الوقت أنه حضر في موقف من مواقف الدهر وصاحب العصر
مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين سلام الله عليهم حسب ما كان يقف على من
سلم عليه فذكروا أنهم من أهل الذمة وأن لهم حاجة وأنهم يهود ونصارى فقال عليه
السلام قولوا حاجتكم فقال نسأل حاجتنا إذا أمتنا على نفوسنا فقال إن طلبه الخواص لا
تحتاج إلى أمان فقالوا هي حاجة صعبة وسؤال عظيم فقال عليه السلام اسألوا فيما عسى
أن تسألوا ولو كان في الملك

قالوا: يا أمير المؤمنين ما هو شيء يتعنى بأمر الدنيا وإنما هو شيء يتعنى بأمر الدين وخطر عظيم فإن آمنتنا على أنفسنا ذكرناه وسألناك عنه وإن لم تأمننا سألناك العفو وانصرفنا آمين فعد لك وأمنتك قد ملأ الغرب والشرق وعطاؤك وجودك دق غمرا جميع الخلق.

قال عليه السلام: اسألوا عما أردتم وأنتم آمنون بأمان الله تعالى وأمان جدنا محمد وأماننا لا منكوث عنكم في ذلك ولا متأول. قالوا: يا أمير المؤمنين إنا الذي نسألك عنه خطر عظيم وأمر جسيم وأنت صاحب السيف والملك ولا نشك في أمانك ولكننا نخشى من سفهاء الأمة. قال عليه السلام: قولوا وأنتم آمنون من جميع الناس والأمة. قالوا: يا أمير المؤمنين أنت تعلم أن صاحب الشريعة الذي هو محمد بن عبد الله الرسول المبعوث إلى العرب الذي لهجرته كذا وكذا سنة وذكروا عدد السنين التي لهجرته إلى تلك السنة التي خاطبوه فيها أنه حين بعث إلى العرب وجاهد سائر الأمم لم يستن الدخول في شريعته إلا أنا اخترنا ذلك بلا إكراه وأداء الجزية ولم يكنفنا إلا هذا وكذلك كل واحد من أئمة دينه وخلفاء مذهبه ومفتحي شريعته لم يستن ما سمنا أنت إياه من هدم بيعتنا وأديارنا وتزريق كتبنا المتزلة على رسلنا عند ربنا فيها حكمة بالحلال والحرام والقصاص حتى أنك أبحت التوراة والإنجيل يشد فيها الدلوک والصابون وتباع في الأسواق بسعر القراطيس الفارغة.

وقد أخبرنا صاحب المنة والشريعة عن ربه فيما نزل عليه أن التوراة فيها حكم الله ثم ذكر أنه في غير موضع في الكتاب المنزل عليه تفخيم أمر رسلنا والأفاضل من تبعهم وإسحق ويعقوب ويوسف وزكريا ويحيى وهؤلاء كلهم أنبيأؤنا وأئمة شرائعنا ومثلنا ذكروا الفضلاء منا مثل بقايا موسى وحواري عيسى وما حكاه أيضاً في الكتاب المنزل عليه من تفضيل قسنا وورهباننا بقوله أن فيهم قسماً وورهباناً وإذا سمعوا ما أنزل إلى

الرسول تفيض أعينهم بالدمع مما عرفوا من الحق ولو استقصينا كل ما جاء في الكتاب المنزل عليه من تفضيل رسلنا وتفخيم كتبنا لكان أكثر ما نزل عليه في هذا المعنى ثم قد كان من خنفاء الملة وأئمة الشريعة من الخنودين آبائك والمذمومين أعدائهم وأعدائك مثل بني أمية وبني العباس ممن عتا في الأرض ملكها طولاً وعرض (؟) ومع اتساع منوكهم وعظم سلطانهم وكان بخطب لهم في كل بقعة بلغت إليها دعوة رسولهم وصاحب شريعتهم ولم يحدث علينا رسماً ولا نقضوا لنا شرطاً اقتداءً منهم بصاحب ملتنا وشريعتنا المذكورة على لسان نبيهم. فمن أين جاز لك أنت يا أمير المؤمنين أن تتعدى حكم صاحب الملة والشريعة وفعل الخلفاء والأئمة الذين ملكوا قبلك البلاد والأمة وليس أنت صاحب الشريعة بل أنت أحد أئمة صاحب الشريعة وأحد خلفائه والقائم في شريعته لتسميها وتشد أركانها وبنائها وبذلك نطق في كلامك في غير موضع من مواقفك التي خاطبت بها وأشهر ذلك عنك أقرب الناس إليك من أوليائك وأنت تفعل معنا ما لم يفعله الناطق معنا ولا أحد من أئمتنا ولا خلفائه كما ذكرناه وهذه حاجتنا التي سألناها وأمرنا الذي قصدناه وطلبنا الأمان عليه ونريد الجواب عنه فإن يكن حقاً وعدلاً آمناً به وصدقنا وإن يكن متعلقاً بالملك والدولة والسيطان بقينا على أدياننا غير شاكين في مذاهبنا وأزلنا الشبهة عن قلوب المستضعفين من أهل ملتنا وما جئناك إلا مستغنين غير شاكين في عدلك ورحمتك وإنصافك وعلى هذا أخذنا أمانك وقد قلنا الذي عندنا وأخرجناه من أعناقنا كما تقتضيه أدياننا والأمر إليك فإن تقل لنا سمعنا وأطعنا وأجنا وإن أذنت لنا ولم تقل انصرفنا ونحن آمنون بأمانك الذي أمنتنا فقال عليه السلام: أما الأمان فهو باقٍ عليكم وأما سؤالكم فما سألتكم إلا عما يجب لئلكم أن يسأل عن مثله

وأما نحن فنجيكم إن شاء الله ولكن امضوا وعودوا إليّ ها هنا ليلة غد. وليأت كل واحد منكم يعني من اليهود والنصارى بأفقه من يقدر عليه من أهل ملته في هذا البلد ليكون الجواب لهم والكلام معهم.

ولما كان في ليلة غد حضر القوم في المكان بعينه وقفوا وسلموا وقالوا قد أتينا بمن طلبه أمير المؤمنين منا وقدموا أحد عشر رجلاً ومن قبل سبعة فقال لهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه: هؤلاء اخترتم لهم وقدمتم قالوا بأجمعهم: نعم يا أمير المؤمنين قال للنفر: وأنتم رضيتم أن تكونوا متكئين عن أهل منكم نائين عنهم قالوا: نعم قال: فهل تعنون في هذه البende وأنتم أهل منكم من هو أفقه منكم قالوا: لا قال عليه السلام: وأنتم تحفظون التوراة والإنجيل وأخبار الأنبياء قالوا: نعم قال عليه السلام: (أنتم) عارفون بمبعث صاحب الشريعة الذي أنا قائم بمبعثه وذاب عن شريعته وسيرته وأخباره وما جرى بينه وبين رؤساء منكم ومتقدميكم من اليهود والنصارى من الجدل والمسائل والاحتجاجات ومن سلم لأمره منهم ولم يسلم من مبعثه إلى حين وفاته. قالوا: لم نخط بذلك كنه بل أحطنا بأكثره مما يلزمنا حفظه وعنده مما جرى بينه وبين عنائنا تصحيحاً لمذهبنا وشريعتنا وذلك عندنا محفوظ مدون مكتوب تتوارثه أخبارنا وأخبار عن الأولين من قبلنا حتى وصل ذلك إلينا ويتصل بغيرنا كما وصل إلينا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال عليه السلام: إن أصحابكم سألوني البارحة عن سؤال بعد أن أخذوا أمانى على نفوسهم ووعدهم أن أجيبهم عن سؤالهم إذا حضروا عندهم وقد حضروا واعترفوا لكم بالعلم والفضل وصدقتمهم أنتم على ذلك واعترفتم عندي به لما قلت لكم أنتم تعرفون في هذه البende من هو أعلم منكم من أهل منكم بأخبار صاحب شريعة الإسلام

ونسبه وشيعته وعنده وشريعته قلت: لا. وأنا أسألكم في آخر السؤال أجيبكم وأخبركم بما سألوني عنه أصحابكم وأما في باق عليكم وعليهم على شرط وهو أفي كننا سألتكم عن شيء يقتضيه مذهبكم وشريعتم ومذهب صاحب منة الإسلام وشريعته فتجيبوني عنه بما هو مأثور في كتبكم المأثولة على أنبيائكم ومدون في كتب رؤسائكم وعلمائكم وأخباركم ما لم يكن عندكم ولا تعرفونه ولا تؤثرونه في كتاب منزل ولا أقول حكيم مرسل فردوه عني وادفعوه بحججكم التي عسى أن تدفعوها بها سواي وما عرفتموه وفهتموه فلا تنكروني إياه لقيام الحجة عليكم به وفيه قالوا: نعم قال لهم إن صدقتم فأما في بعبكم وإن كذبتهم انفسخ أمانى عنكم وعاقبتكم وكانت عقوبتكم جزاء لكذبكم أراضيتهم؟ قالوا: نعم قال: أبلغكم أنه لما كان في كذا وكذا من هجرة الرسول صاحب شريعة الإسلام أتاه رؤساء شريعتم وعلمائكم من المتن اليهود والنصارى وهم فلان وفلان وفلان وفلان وسموا له البقية أسماء الرجال حتى أتوا على آخرهم.

قال عليه السلام. قد صح عندي أنكم صدقتم لما تمتمت أسماء الرجال الباقيين الذين بدأت أنا بذكرهم أفي ذلك عندهم شك تشكون فيه أو ريبة ترتابون بها قالوا: لا قال لهم: لما استحضرتهم ما قال لهم قالوا: يقول أمير المؤمنين فسنه القول ونحن سامعون فما عرفناه أقررنا به ومننا فيه وما لم نعرفه ولم يكن مأثوراً عندنا ذكرنا لأمر المؤمنين. قال عليه السلام: قال لهم صاحب المنة والشريعة: ألم تكونوا منتظرين لزمان متوقعين لشخصي وترجون الفرج مع ظهوري فلما أن ظهرت فيكم وأعلنت دعوتي وشهرت أمر ربي كذبتوني وجحدقوني وناقضتم علي فطائفة منكم قاتلوني وطائفة رحلوا من جوارى حمداً لي وبغضة حسنا تفعله الأمم الباغية في الأزمان المتقلبة إذ ظهر مثلها سنة سنتها

الظالمون أولهم إبليس النعين مع آدم الكريم فهل كان ذلك منه إليهم قالوا: نعم قال: فإذا علمتم أن ذلك قد كان منه فما كان جوابهم له عن ذلك بعد استماعهم كلامه قالوا: قد قلنا أولى لأمر المؤمنين أن يقول ولنا أن نسمع ونحن محمولين على الشرط الأول الذي أشرطه أمير المؤمنين علينا أما ما عرفناه أقررنا به وما لم نعرفه أنكرناه فتريح بذلك سلامة أدياننا بالتصديق بالحق وسلامة أنفسنا من القتل بالتزام الشرط.

قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: كان جوابهم أنهم قالوا: ما أنت الذي كنا منتظرين لزمانه متوقعين لشخصه ولا الذي نرجو الفرج من ظهوره قال لهم: ما دليكم على صحة ذلك أي ما أنا هو قالوا: ما هو ماثور عندنا وموجود في كتبنا وبشرت به أنبيأؤنا لأئمتهم قال لهم: وما هو بينوه قالوا: ثلث خصال أحدها ليس اسمه كاسمك وقد نطق بذلك لسانك في نبوتك وجهرت به لأصحابك وجعلت ذلك فضيلة لك فمنه آخذناك لما قلت ما حكيت عن المسيح ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد يحمل لكم الطيبات ويحرم عنكم الحبائث ويضع عنكم ضركم والأغلال التي كانت عليكم فهو كما قلنا ما أنت المسمى إذ اسمك محمد والذي بشرت به باتفاق منا ومنك اسمه أحمد والثانية مدته قد بقي لها أربع مائة سنة من يوم مبعثك إلى حين ظهور هذا المنتظر قد خالفته أيضاً في الاسم والمدة والثالثة المنتظر إنما يدعو إلى توحيد ربه بلا تعطيل ولا تشبيه ولا لفة تنحق نفوسنا حيناً ذكرته في ترينك من تحنيل الطيبات وتحريم الحبائث ووضعنا عنا ضرنا والأغلال التي كانت علينا فأني حجة بقيت لك علينا وليس اسمك اسم من ينتظر بقولك ولا فعنك فعنه ولا المدة مدته فقد خالفته كما قلنا في الاسم والمدة والفعل وإذا كنت إنما تدعو إلى شريعته فبقاؤنا في شريعتنا أثر وخير لنا.

ووصفة المنتظر عندنا رفع التكييفات وانقضاء الشرور ورفع المصائب والشكوك وأن لا يتجاوز في عصره كافر ولا منافق وأنت أكثر أصحابك يظهرون النفاق عليك وإنما بغلبة سيفك عليهم سنوا لأمرك وإذا كان ذلك كذلك فلم تلومنا على قتالك وتناقلنا على طاعتك والدخول في شريعتك. ثم قال لهم أمير المؤمنين عليهم السلام: أكذا كان قالوا: نعم كذلك كان وكل قولك حق وصدق. قال: فما كان جوابه لهم عن هذا الكلام قالوا: يقول أمير المؤمنين حسبنا جرت به العادة ونسمع ونعترف بالجواب إذا علمناه ونكره إذا جهلناه قال لهم عليه السلام: أما إذا عرفتم ذلك وعلنتوه فلا شك أنكم تعرفون صفة الحال كما جرت إنشاء الله. ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان جوابه لهم لا أقاتلكم على الدخول في مني ولتكذيبي والصدوف عن أمركم لأنكم أصحاب شرائع وكتب وتكون بأمرها ناطقون وليس أقاتل من هذه صفته ولا أنا رافع الشرائع ولا ذلك كنه إلي بل كلنا منك بلداً بسيفي فمن فيه عبدة الأوثان والتناذر فلي أن ألزمهم الدخول في مني أو أقتلهم ومن كان في البلدة منكم عرضت عليه إما الدخول في مني واتباع أمري وشريعتي أو أداء الجزية فإذا كره الوطن الذي منكته وبسيفي فتحته فمن وزن الجزية منهم وشريعتي أقررت في مكانه ومن انتقل عني تركته ومن قاتلني منهم على مثل ذلك قاتلته وانتظرت فيكم حكم ربي قالوا: لك ذلك فما قنت إلا حقاً ولا نرى منك إلا صدقاً قال لهم: إذا استقر ذلك بيني وبينكم وقد تأولتم عني ورفعتم مني وفضي الذي قد أتاني من عند ربي وزعتم أن الذي تنتظرونه له اسم تعرفونه وفعل تعلمونه ومدة تنتظرونها وهي من معيها إلى حين ظهور هذا المنتظر بقي له أربعمائة سنة فآكبوا بيني وبينكم مواضع تضمن كل ذلك وذكره وعلى أنكم تدفعون إلي الجزية

طول تلك المدة التي ذكرتم أن المبعوث إليكم فيها يأتي غيري فإن كنت من جهة
 المخربين فإنتم تكفون مؤنني ويرجع إليكم الملك إذ ظهر من ^{يظهر}ونه وإن لم يظهر
 ومدني قائمة وشريعتي ماضية وحكمي لازماً ولم يأتكم في هذه المدة من تنتظرونه
 فلصاحب ملتي والقائم بدعوتي والإمام الذي يكون في ذلك العصر أن يدعوكم إلى ما
 دعوتكم إليه فإن أجبتوه وملتكم وإن أبيت عليه كما أبيت عليّ وصددتم عنه
 واستكبرتم فله أن يأخذكم بالشرط الذي شرطتوه على أنفسكم ويقابلكم فإن قاتلتوه
 قاتلكم ولا يقبل لكم عذراً ويستباح ملتكم ويهدم لكم شريعتكم يهدمه ليعكم ويعطل
 كتبكم ويكون ما بقي لكم عذر تحجون به ولا محال تركون إليه ولا إبليس تعولون عليه
 وهو المنصور عنكم يقطع شأفتكم وشأفة كل الظالمين فهذا نصه المواضعة أهكذا هو
 قالوا: نعم قال أمير المؤمنين عليه السلام: والمواضعة لم تزل تنقل من بعد صاحب
 الشريعة والملة من وصي صادق إلى إمام فاضل حتى وصلت إليّ فهي عندي فلم يكن
 عليه السلام أن ينقض شرطاً أسسه وحكماً بينه وهو معروف وقت أن نشأ في الجاهلية
 محمد الأمين فكيف ينقض ما أنعم به عليكم ولم يجز لأحد من أئمة دينه وخلفاء شريعته
 أن ينقض ما أمر به من قبل انقضاء المدة إتباعاً وتسليماً لحكمه فلما وصل الأمر إليّ
 وانقضت تلك السنون المذكورة في المواضعة في عاصري وعند تمامها أمرني أخذت منكم
 بحقه ودعوتكم إلى شرطكم وشرطه حسب ما تقتضيه الأمانة وحكم المعاهدة أكذاك
 بنعكم أنه صفة الحال قالوا: نعم كذلك كان قل: فأني حجة بقيت لكم عليه وعنيّ
 بعدما أوضحناه وأي أمر تعديت فيه بزعمكم عنيّ إذا كنت بشرطكم أخذتكم وما
 كنتم تنتظرونه أقمته عليكم وقد أوسعتكم حلياً وعدلاً إذا بقيت نفوسكم عني

أجسامكم ونعمكم عندها أمها (؟) لا لتنتهوا بعد الغفنة وتسبوا بعد المعاهدة فأني حجة لكم بعدما وصفناه وأي حق معكم بعدما قنناه وأي عذر يقوم لكم بعدما شرحناه قولوا واسألوا تجاربوا أو تنصفوا ولا يكون لكم قولاً ولا حجة فانصرفوا محجوجين كاذبين نادمين شاكين خائبين قالوا: ماذا تقولون قالوا بأجمعهم هذا والله كنه حق وصدق لا نشك فيه ولا نرتاب به قد سمعنا لو فهمنا والله الحجة البالغة رب العالمين وعنى الله على نبيه وآله الطاهرين.

تم الكلام في هذا الفصل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله وحده ونسبحه به اهـ.
وسنشر في الجزء التالي تفأً من هذا المخطوط أيضاً جلاءً لتحقيق الغامضة.

الاملا وعابدوه

عرف المطالعون من مواطننا كثيراً عن غرائب ديانات البشر وعقائدهم ومعبوداتهم القديمة والحديثة ولكن نظن أنه لم يخطر لعقل منهم ببال أنه يوجد حتى اليوم أمم عريقة في التمدن وهي تعد بالملايين تعد إنساناً حياً مثنهم وتقدم له من أنواع التكرمة والتبجيل والإعظام ما لا ينبغي تقديمه إلا للإله الحي الأزلي القيوم فالاملا وما أدراك ما الاملا إن هو بشر كسائر الناس يأكل ويشرب ويضحك ويكي ويخطئ ويصيب ومع ذلك فالملايين من الصينيين والهنود والمغول يؤلهونه تأليهاً ويبدلون له من ضروب العبادات ما يقضي بالخيوة والاستغراب والذهول هذا ولما كان الموضوع غريباً عجيباً وقد لا يخفى من الفائدة لمن تتبع تاريخ وأحوال وشؤون الأمم وما انطوت عليه من الشذوذ والمدهشات رأينا أن نطرحهم بهذه المقالة آخذة بناصيتي الإيجاز والوضوح فنقول:

إن الدين الالاموي قديم جداً مر عليه زهاء ثلاثة آلاف سنة وهو زاده سائد منتشر في مساحة من المعنور تقرب من سبعمائة ألف ميل ممتدة من ينبوع نهر الأندوس إلى حدود الصين ومن تخوم الهند إلى قفر كوبي وتسمى هذه المملكة ثيبة أو تبيت وعدد سكانها يتجاوز الستة ملايين وهي مجاورة لجمال جهلايا وترتفع عن سطح البحر نحو عشرة آلاف قدم بيد أن هذا الدين لم ينحصر في تلك المملكة فقط بل تسربت تعاليمه أيضاً منذ عصور متطاولة إلى قبائل وفصائل كثيرة من أمة التتر المتجولة بين ضفاف نهر الولكا وكوريا بجوار بحر اليابان وإلى كثير من جزائر الهند ومقاطعات الصين حتى يقول الباحثون أن الذين يدينون بهذا الدين لا ينقصون عن مئة مليون أكثرهم ممن لهم أقدام راسخة في المدنية الشرقية وعراقة تامة في الحضارة بين أصحاب النون الأصفر والقوقاسيين من شعوب آسيا الكبرى.

ومقر عرش هذا المعبود استغفر الله إنما هو قصر يسمى باتولي مبني في ذروة جبل على مقربة من شاطئ بارمبوتر بينه وبين لاسا عاصمة البلاد سبعة أميال وفي حضيض ذلك الجبل يقيم نحو عشرين ألفاً من الكهنة تتفاوت رتبهم الدينية بحسب بعد منازلهم وقربها من عرش اللاما معبودهم الأكبر.

وهم يعتقدون أنه أزلي لا يموت محيط بكل الأمور جامع لأنواع الفضائل ويسكنه أب السماوات وهو لا يرى إلا في مكان سري في قصره يجلس فيه الأربعاء بين مئات من المصاييح الذهبية وعليه من الحلبي وأنواع الجواهر النفيسة ما يقصر عنه الوصف فيتقاطرون إلى زيارته من كل صوب وأوب وحذب في موسم معنوم وقليل منهم من يفوز بالدنو منه على قيد ذراع وعلى الذين ينالون شرف الدخول إلى مقدسه أن يطرحوا

أنفسهم إلى الأرض ركعاً سجداً وهم بعيدون عنه مرمى النظر إجلالاً وتكريماً ولا يخص هذه المنحة السامية إلا الملوك وعظماء الأمم وزعماء القبائل فيرونها عن بعد من طرف خفي دون أن يخاطبوه أو ينبس لهم بمنت مشقة.

وهذه الزيارة تكفي عندهم لمغفرة كل ما اجتروحه ويترحونه من الآثام والكبائر مدى الحياة ومن العجب أنهم يأخذون من رجيعة ما يذخرونه في أوعية صغيرة ذهبية ثم يعلقونه كالتمائم والتعاويذ في أعناقهم وأعضادهم يستشفون بها من الأمراض ويدفعون بها من كيد الأبالسة ونزعات الشياطين وهم يشتررون تلك الذخائر الرجسة بألوف مؤلفة من المال ومن حصل على مثقال منها فقد نال بزعمهم سعادة الدارين وجمع بين الحنين وقد يدخلون إلى مطاعنهم ولو بعض نقاط من مفرزه المائي ولكن هيهات أن ينال ذلك منهم إلا كل رفيع القدر نافذ الكلمة واسع العطاء فمن خدمه الحظ وخازمه التوفيق بحيث يتهيأ له أن يجمع بين المفرزتين معاص فهو بين الأقطاب الأعلام أمجد من الإسكندر في عصره أو فرعون في مصره فيا لله مما تحط إليه مدارك البشر.

وللأما سلطان سياسي فضلاً عن سطرانه الديني ومع أن بلاده تحب منذ القدم تابعة للإمبراطورية الصينية وتؤديها بعض الجزية فهو يدير حكومة بلاده مستقلاً بواسطة عمال يسوئهم خانات وما من مدافع وله في باكين وغيرها من العواصم في الشرق الأقصى سفراء وإمبراطور الصين ذاته يؤدي له الطاعة والاحترام كعبود ولأعوانه الكثيرين الذين يسوئهم اللاماوين الصغار أنفذ سلطة وأسمى مكانة بين عامة الناس وخاصتهم وهم يجيئون الهدايا ويحسمون النذور ومن جميع بلاد المغول وثيبة والهند الغربية وغيرها باسم اللاما العظيم ومع كونهم فاسدي الأخلاق قبيحي السيرة منغمسين باللذات

البهيمة يحترمهم الناس أعظم احترام ولهم جميعاً من الثروات الطائلة ما أصارهم في المقام الأول بين مصولي تلکم الأصقاع وموسريها.

وعندهم أن اللاما متى أدركه اليوم أو مات بسبب آخر من أسباب الموت تفارق روحه ذلك المنزل المتهدم القديم لتحل في مسكن أقوى وأمن فتنتقل تلك الروح إلى جسد طفل له عندهم علامات وفروق خاصة كالعجل آبيس عند قدماء المصريين فيبحثون عنها بواسطة اللامويين الصغار حتى إذا تحققوا وجودها في أي طفل كان قالوا_ هذا هو اللاما_ فاتخذوه خلف لسلف قبله وأقاموا عنه نواباً حتى يبلغ أشده وعلى هذا لا يكون في زعنهم موتاً طبعياً بل هو من قبل الانتقال العادي من موئل إلى آخر.

وهم يؤمنون بآله واحد يثثون أقاليمه كما يثث الهنود برهما ويزعمون أنه ظهر أول مرة (سنة ١٠٢٦ قبل الميلاد) وكان يملك في بلاد الهند وهو متجسد بموت في الظاهر ولكن في الحقيقة ينتقل كما ذكرنا سابقاً من مسكن إلى آخر مع أنه أزلّ حيّ سرمدّي لا يموت ويريدون به نفس اللاما العظيم الذين يسيده الصينيون موفو أي الإله الحي.

ثم هم يؤمنون بخلود النفس والثواب والعقاب ولهم صنوات وأصوام وذبائح وقرايين وكهانة ذات فروض ونذور ومناسك وصوامع وأديار وعدد كهنتهم يتجاوز الثلاثين ألفاً وكنهم ينسب ألبسة خاصة ذات مناطق صفراء وقبعات تختلف أشكالها وأوضاعها باختلاف رتبهم الدينية ولؤلأ الكهنة مدارس تلقنهم فروض الدين ونواميسه وتعاليمه وشيئاً من الطب وعلم الهيئة وضروباً من الشعوذة والتدجيل يخرقون بها على العامة المخدوعة بأساليبهم السحرية غير أن دهاء الإنكميز الذي يستسهل أمرهم بعض متهوسي الكبة ذوي الأمانى والأحلام لم يدع هذه الزمرة المضننة وإلهها الدجال يستمعون بما

توارثوه عن آبائهم منذ آلاف أعوام من الجند السامي والمكانة العليا بل لم يرحوا منذ بعض قرون قاتياً يثون دعاقم ورسلمهم وينصبون شباكهم وأحاييلهم بين اللامويين متعذرين بكل وسينة من وسائلهم الفعالة لبسط نفوذهم وتمتين دعائهم في تلك الأقطار حتى ألبأوا اللاما وأتباعه بعد حملات سالت فيها الدماء سيل الماء إلى موالا قم والدخول في حمايتهم وتمت سيطرهم وغير ذلك مما كشف القناع عن بصائر الصينين وأمات ثقتهم وصدق يقينهم بذلك المعبود الكاذب فنهضوا عليه فخصه رجل واحد وأجلوه عن مقدسه فنمضى هارباً صاغراً مدحوراً لا يلوي على شيء يلتبس من مواليد الإنكليز حماية روحه وماله إلى غير ما هنالك مما فاضت ببيانه صحف الأخبار وجاء منطبقاً على ما يريد الإنكليز خلافاً لما يتوهمه البعض من ينظرون إلى المرامي السياسية بعين الأحوال فسبحان مصرف الأمور بحكمته ومقلب الأحوال بقدرته إن له لآيات ترى تبدو من خلال تعاقب الليل والنهار.

ومن غرائب هذه البلاد أن الهواء فيها مع ارتفاعها المتناهي عن سطح البحر وجاورها لأعظم جبال آسيا هو بارد جاف لا مطر فيه أصلاً حتى أن الثلج قلما يرويه في تلك الأصقاع والخشب هنالك لا ينل بل يصير صنياً حتى يضارع الصوان ويبقى مع الدهر. كذلك اللحم إذا عرضته للهواء يجف حتى يمكن سحقه بسهولة فيصير ناعماً كالكحل وهكذا يفعلون.

ومع هذا لا ينبت فيها شجر برّي قط تجدد في أوديتها الخجوبة عن الرعازع والأعاصير أشجاراً مشمرة كثيرة كالنخيل والتين والكرام والرمان والجوز وهناك يزرع الأرز والحنطة

والشعير وما يماثله من أنواع الحبوب فتكون غارته جيدة بخلاف نجاحها المرتفعة المعرضة
لنرياح فيها لا تصلح للزراعة إلا شذوذاً.

وهي غنية بمعادنها الثينة فإن الذهب والحجارة الكريمة كالزبرجد والماس توجد هناك
بكثرة كما يوجد أيضاً الرصاص والزنق والحديد والبورق والمنح.

وأهلها على غرابة دينهم وخشونة شعائره لينو العريكة دمثوا الخلق خفيفو الروح أولو
شجاعة وكرم وأمانة ومروءة يزعون إلى الحرية والاستقامة والصدق في معاشراهم
ومعاملاتهم ولم كاهالي فيبقية الأقدمين أشد الولوع بالتجارة على اختلاف مناحيها
وأكثرهم زاهد في الزراعة لعقم أراضيهم وقحلها ولكنهم يستغنون باستخراج المناجم
والتعدين ولم حلق عجب بثقيف الحجارة الكريمة وإصلاحها وإظهار رونقها ولعافها.

ولفهم وإن كانت من ذوات المقطع الواحد إلا أنها واسعة يعبر بها عن المعاني الفلسفية
والدينية مهما كانت دقيقة غامضة بسهولة وجلاء وهم يكتبون بها من الشمال إلى اليمين
كما يكتب الهنود باللغة السانسكريتية ومكتبهم غنية في آدابها وأكثرها أناشيد وتراجم
وشروح مستندة من كتب البوذيين المقدسة.

ويذهب أكثر علماء (البيولوجيا) أن أصل هذه الأمة مغولي ويقيم بين ظهرانيها قليل من
المسلمين ومعظمهم من أهالي كشمير ويوجد هناك أيضاً بضعة آلاف من الكاثوليك.

ويكثر عند اللامويين تزويج جملة رجال بامرأة واحدة كاهالي جزيرة سيلان وهي عادة
مستفيضة في كل أمة أو بلاد تقل نساؤها ويكثر رجالها.

ولقد اختلف الكتبة والمؤرخون كثيراً في اسم هذه المملكة فمنهم من يدعوها (ثيبة)
ومنهم من يسميها (تيت) وبعضهم من قال أنها (تبت) ولقد ضبطها ياقوت الحموي

بالباء المشدودة أما الأوربيون فيسمونها هكذا وأول سائح استقرأ تلك البلاد هو (توماس ماتني) وذلك سنة ١٨١٢ للميلاد ثم وليه القس (هوك) سنة ١٨٤٥ و ١٨٤٦ وإنما اسقراؤهما إياها لم يتجاوز القسم الغربي منها ولكن دعاة اليسوعيين قد عرفوا قبلها العاصمة (لاسا) وما حولها منذ القرن السابع عشر أما سائر أقسام المملكة ولاسيما الشرقية والشمالية فبنا برحت حتى اليوم مغطاة أحوالها في سحاب كثيف وتعد عند الجغرافيين من مجاهل الأرض.

وهذا مجمل ما أمكن الوقوف عليه بعد التدقيق والتقيب عن أحوال تلك المملكة الغريبة في ديانتها وعبادتها في إقليمها وبثاقها في طبائع أهلها وعاداتهم أخذناه محصلاً عن عدة مصادر هي محل الثقة ثم أطرفنا به المقتبس تفكهاً لقارئه وتبصرةً وذكرى.

دمشق.

سليم عنحوري

قانون تكليف العقارات

(الفصل الأول)

في العقارات التي عليها التكاليف

المادة الأولى يفرض على العقارات في كل قضاء تكليف واحد ^{بـ} دخنها ويكون هذا بدل التكاليف الحاضرة وهي الخراج ويركو وحصة المعارف والتجهيزات. وذلك اعتباراً من السنة المالية التي تلي تحرير هذه العقارات وتخمين إيرادها وفقاً لأحكام هذا القانون ويجوز ضم شيء على أصل هذا التكليف للمعارف والأموال النافعة لأهل هذا القضاء بشرط أن يعين الحد الأعظم لهذه الضمانات في قانون الميزانية كل سنة. تعتبر كل دائرة

بلدية في الآستانة والبلاد الثلاثة بك أوغني، إسكدار، أيوب قضاء عند تطبيق هذا القانون.

المادة الثانية_العروض المستعملة مخازن ومعامل للتجارة والصناعة تعد من نوع العقارات وإن لم يكن فيها بناء وسقف.

المادة الثالثة_تعتبر أفنية العقارات وحدائقها من ممتلكات الأبنية ويفرض عليها مع الأبنية تكليف على نسبة سعتها وتعين هذه النسبة بنظومات خاصة. أما الزائد من الفنية وحدائق عن النسبة المذكورة إذا لم يتعمل للتجارة والصناعة كما هو محرم في المادة الثانية فيتبع قانون تكاليف الأراضي والعروض. والعروض المصنعة بالطواحين والمعامل لوضع لوازمها ومصنوعاتها تعد من مشتقاتها وتعتبر مثلها من حيث التكاليف.

المادة الرابعة_الاستثناء يكون إما دائماً أو مؤقتاً. أما المستثنيات دائماً فهي:

١_عقارات الدولة.

٢_عقارات الحضرة السلطانية سوى ما هو للاستغلال منها.

٣_عقارات البيت السلطاني المحررة أسماؤهم في الميزانية العامة في فصل رواتب البيت السلطاني على شرط أن يكونوا.

٤_عقارات البنديات والقصبات والقرى التي يسكنها الناس ولا يراد لها.

٥_التكايا والزوايا المصلق عليها في الدوائر الرسمية وبيوت العبادات والأديار وممتلكاتها التي في حرمة (يشترط في هذه أن لا تكون مستأجرة).

٦_العقارات المخصصة لإقامة الخدمة والمشايخ والمتولين المصريح بها في الوقفيات إذا لم تؤجر أو تستأجر.

٧_ العقارات الخاصة بالمدارس والمعارف ودور الخير إذا لم تؤجر أو تستأجر.

٨_ الدور التي تسكنها الفلاح والمزارع النذان بمحرثان ويزرعان بنفسهما والدور التي يسكنها حراس المزارع والأراضي والحراج واختلات المعدة لإيواء الحيوانات وحفظ الحاصلات والآلات والأدوات الزراعية (إن جميع العقارات المدرجة في هذه الفقرة الثامنة مشروطة بما أن تكون خاصة باستثمار أراضي القرية أو المزرعة وأن لا تكون مفرزة من الأراضي المعدة للزراعة ومؤجرة).

٩_ الحائز والزرائب والخال الخاصة بتربية الحيوانات ودود الحرير.

المادة الخامسة_ تبقى العقارات المعفاة من التكاليف بموجب معاهدات وفرايين أو وثائق اشترطتها الحكومة على نفسها مستثناة من التكاليف كما كانت وبعد الآن لا يقبل استثناء سوى المواد التي ذكرت في المادة الرابعة إلا بقانون مخصوص.

المادة السادسة_ تعين الإدارة المركزية نوع العقارات المذكورة في المادة الخامسة والفقرات الأولى والثانية والثالثة والخامسة والسادسة والسابعة الواردة في المادة الرابعة.

المادة السابعة_ المستثنيات مؤقتاً هي:

١_ الطواحين والمعامل في خلال خمس سنوات مالية تلي السنة التي تم فيها الإنشاء.

٢_ المساكن التي أنشئت لإسكان العشائر السيارة والمهاجرين الأولى لعشر سنوات مالية والثانية لخمس سنوات مالية بعد السنة التي تم فيها الإنشاء سواء أنشئت هذه المساكن من قبل الحكومة أو من العشائر أو المهاجرين أنفسهم.

٣_ الأبنية الجليلد الحجرية والخشبية الأولى لمدة سنتين والثانية لمدة سنة واحدة تلي السنة التي تم فيها البناء الحجري أو الخشبي. يجب على أصحاب البناء أن يعطوا في خلال

شهرين من مباشرتهم البناء مأموري المالية في ذلك القضاء بياناً يتضمن موقع البنية ونوعها وجهة استعمالها. فإذا لم يعط هذا البيان في مدته المعينة يطرح عليه تكليف العقار اعتباراً من السنة المالية التي تلي ختام الإنشاء. متى أجر البناء كله أو جزء منه أو صار في حالة يمكن معها استعماله والانتفاع منه يعد إنشاؤه تاماً.

المادة الثامنة_ الأبنية الآتي بيانها تعد من الأبنية الجديدة:

١_ العلاوات التي تضم على الأبنية الموجودة.

٢_ العرصات التي تعد للاستعمال بالصورة المحررة في المادة الثانية من هذا القانون.

٣_ ما جعل من العقارات الموجودة طواحين ومعامل.

المادة التاسعة_ العقارات التي عليها تكاليف إذا دخلت في عداد المشتريات يجري عليها حكم هذا الاستثناء من أول السنة المالية التي تلي السنة المستدعى بها من قبل الكلف.

المادة العاشرة_ العقارات التي احترقت وخربت أو صارت من الخراب على حال لا يمكن الانتفاع به وأخير صاحبها موظفي المالية عنها على الأصول وثبت ذلك لديهم بالتحقيق يرفع عنها التكليف اعتباراً من التقسيط الذي يني التقسيط المصادف تاريخ مراجعة صاحبها وأخباره أما عرصتها فيجري عليها قانون تكاليف الأراضي.

المادة الحادية عشرة_ المطاحن والمعامل ودور الصناعات إذا لم تشغل مدة سنة كاملة على الأقل بدون فاصلة يكون لأصحابها الحق بالعفو المؤقت عن ثلاثة أرباع التكليف في المدة التي لم تشغل بها. وعلى أصحاب هذه العقارات أن يرفعوا إلى الحكومة بيانين أحدهما في أول مدة توقفها عن العمل والثاني في آخر تلك السنة. ويكون حكم العفو المؤقت اعتباراً من التقسيط المصادف نهاية السنة. وإذا لم يخبر أصحاب العقارات في شهر واحد

باستئنافها العمل ببيانہ يقدمونه إلى الحكومة محرمون من التمتع بالعفو في غضون تلك السنة. إذا استمرت العطلة مدة سنتين فيجب تجديد البيان في كل سنة على الصورة المذكورة.

(الفصل الثاني)

في نسبة التكيف

المادة الثانية عشرة—إن نسبة التكيف هي اثنا عشر في مئة عن الواردات غير الصافية وإنما يزداد في هذه النسبة في ميزانية المعارف ما يعادل النصف في المئة للمعارف المحلية في كل سنة.

يطرح التكيف على الطواحين والمعامل ودور الصناعة والدور الخشبية المعدة لنكني بعد تنزيل ربع وارداتها غير الصافية. العقارات الختوية على الآلات والأدوات المخصصة والمعدة لإجراء صناعة تعد معداً أو دار صناعة. الأبنية المنشأة من جدران من الخشب أو ألواح خشبية أو ما يسمونه بغدادي تعتبر خشبية (ولو كان أساسها قائماً على الحجر على ارتفاع مترين من وجه الأرض) الأبنية المنشأة من اللبن هي من قبيل الأبنية الخشبية. المادة الثالثة عشرة—تعفى الدور التي وارداتها غير الصافية مائتان وخمسون قرشاً فأقل والمعدة لإسكان صاحبها من التكيف جنة. والجور التي إيرادها أكثر من مئتين وخمسين قرشاً وأقل من ألف يصرف النظر عن مائتين وخمسين قرشاً من إيرادها.

المادة الرابعة عشرة—تجوز وتخمس العقارات بحسب الإيجارات غير الصافية المتعارفة في محنها عامة بحسب إيراد الأبنية التي من نوع واحد وبحسب موقع البناء ومساحته وعدد أدواره وعدد غرف كل طابق منه ونوع المواد التي أنشئ منها وبحسب حاله الحاضرة من

حيث حسن محافظته وبحسب صورة الانتفاع منه. وعند تخمين غير الإيراد الصافي
لنطواحين والمعمل ودور الصناعة ينظر إلى ما فيها من الوسائط الصناعية الثابتة.
المادة الخامسة عشرة- إذا لم يوجد وسائط كافية لتخمين واردات البناء الغير صافية تعين
قيمة البناء الحقيقية ويعتبر ثمانية في المئة من قيمته إيراداً غير صافي إذا كان طاحوناً أو
معملاً أو دار صناعة أو دار خشبية لكنى صاحبها وستة في المئة إذا كان من العقارات
الأخرى.

(الفصل الثالث)

في تحرير العقارات وتقدير دخلها

المادة السادسة عشرة- تكتب جميع العقارات وتقدر قيمتها لتنفيذ حكم هذا القانون. يعين
مبدأ التحرير والتقدير ببيان من الوالي في الآستانة والولايات ومن المتصرفين في الألوية
المقتنة.

المادة السابعة عشرة- تكون كتابة العقارات من قبل لجنة مؤلفة من ثلاثة أشخاص تعينهم
الحكومة ويكون التقدير والتخمين من قبل لجان ينحق بها وكلاء المكنتين برئاسة
المأمورين الثلاثة المار ذكرهم.

يكون عدد الوكلاء ثلاثة تنتخبهم مجالس البلدية في القصبات التي فيها دوائر بلدية
ومجالس الإدارة في القصبات التي ليس فيها دوائر بلدية من أناس لهم أملاك داخل البلدة
وفي القرى تنتخبهم مجالس القرى. أصحاب العقارات مكنتون بإراءتها لهذه النجان
وإعطائهم المعلومات الكافية عن أحوالها العامة وعن جهة استعمالها ومقدار أجرها ويؤخذ

من يمنع عن ذلك أو يخبر بخلاف الحقيقة عن عدد عشرون قرشاً إلى مئة قرش جزاء نقدياً بحكم المحكمة.

المادة الثامنة عشرة_إذا كان العقار منقسماً ومفززاً بين أصحابه بصورة رسمية يخضع إيراد كل قسم على حدة وإذا لم يكن مفززاً بل كان مشاعاً بينهم يخضع إيراده كله من حيث المجموع.

المادة التاسعة عشرة_عند ختام تخمين القرية أو الحي في المدن من قبل اللجنة التي ذكرت آنفاً يعرض كمال الجدول الذي يتضمن قيد العقارات وتخصيص إيرادها ليطالعه المكلفون ويمعنوا فيه نظراً مدة شهر واحد ثم يبلغ كل من كلف على الانفراد ورقة إخبارية تتضمن مقدار الإيراد الذي ضمن عقاره ولكل مكلف حق الاعتراض مدة شهرين من تاريخ تبليغه الإخبارية لمأمور مال القضاء لينظر به لجنة التخصيص.

ولمأموري المال أيضاً حق الاعتراض على تقدير اللجنة وتخصيصها مدة شهرين من بعد إرسال الجدول المذكور إليهم وحينئذ يكونون مكلفين بتبليغ اعتراضاتهم هذا مع أسبابه الوجبة بصورة مختصرة للمكلف صاحب العقار لتقدير الذي لا يعترض عليه قبل انتهاء المهلة المذكورة يكون قطعياً.

المادة العشرون_على اللجنة أن تنظر في الاعتراضات المذكورة وتسع اعتراض المعارضين شفاهة إذا طلبوا أو وجد لزوم لذلك وأن تشاهد العقارات مرة ثانية وتحقق أحوالها عند الإيجاب تعطي قراراً مدة شهرين على الكثير ويبلغ هذا القرار إلى المكلفين بواسطة مأموري مال القضاء.

المادة الحادية والعشرون_للمكلفين أن يستأنفوا قرار لجنة التخمين في خلال شهر واحد من تبليغه لدى لجنة تؤلف في كل لواء باعتراض يقدمونه للمأموري المال حاوٍ للدلائل الكافية.

تؤلف هذه اللجنة برئاسة الوالي أو المتصرف هكذا: الدفتر دار أو الخاسب ومأمور تنتخب الحكومة وثلاثة أعضاء يقترح عليهم بواسطة المجالس العمومية في الولايات والجمعية العمومية للبلدية في الأستانة إذا لم يكن المجلس العمومي فيها منشأً بين ستة من أصحاب الأملاك يبعث بهم النواء.

وللمأموري المال أيضاً أن يراجعوا لجنة الاستئناف في المدة نفسها على شرط أن تبليغ مراجعتهم هذا للمكلف. وعلى لجنة الاستئناف أن تعطي قرارها في خلال شهرين.

المادة الثانية والعشرون_إذا ادعي بأن قرار لجنة الاستئناف مخالف للقانون والنظام فللمكلفين ومأموري المال أن يراجعوا في خلال شهر واحد بعد تبليغ القرار على الطريقة المار ذكرها اللجنة المركزية التي تؤلف في نظارة المالية بانتخاب. الناظر من رئيس وستة أعضاء. وهذه اللجنة لا تبحث في المعاملات المتعلقة بتقدير الإيراد.

المادة الثالثة والعشرون_للمكلفين أن يعرضوا خلال شهرين من بعد إعلان جدول التكليف الذي يكتب بنهاية التحرير العمومي على التكليف المطروح عليهم في الأحوال الآتية وفقاً لنظرية المدرجة في المادة التاسعة عشرة وما سيليها من المواد.

١_إذا وجد سهولة وامتنعت الحكومة عن تصحيحه.

٢_إذا لم يجر التبليغ اآخر في المواد ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ أو جرى بصورة مخالفة للقانون.

تكون هذه المدة عبارة عن شهر واحد من ابتداء إعلان جداول التحرير الخاص الذي يجري في خلال التحرير العام وجداول التكاليف التي تحرر لأول مرة في ختام التعديلات. المادة الرابعة والعشرون_الاعتراضات الواقعة على مقدار التكييف المدخل في جدول التكاليف لا تحصينه لكن إذا تقرر أن الاعتراض محق يرد المقدار الزائد إلى المكلف حالاً. المادة الخامسة والعشرون_مقررات اللجان المبينة في المواد السابقة تعطى بالأكثرية على شرط أن لا يكون عدد الأعضاء أقل من النصف فإذا تساوت الآراء يرجح الطرف الذي فيه الرئيس.

(الفصل الرابع)

في دفتر أمهات التكييف ومعاملاته التعديلية

المادة السادسة والعشرون_الجداول التي تحرر بمعرفة اللجان المار ذكرها حاوية تحرير العقارات وتقدير إيرادها والتعديلات المتوالية التي تجري بموجب هذا القانون يتألف منها دفتر الأمهات.

دفتر الأمهات يكون مأخذ لجداول التكاليف السنوية الخرة في المادة الثالثة من قانون تحصيل الأموال المؤرخ في ٥ شعبان سنة ١٣٢٧ و ١٨ أغسطس سنة ١٣٢٥.

المادة السابعة والعشرون_في كل عشر سنوات تجري تعديلات عنومية لتقدير إيراد العقارات وفقاً لأحكام هذا القانون.

المادة الثامنة والعشرون_إذا نقص مقدار العقار أو زاد منه مقدار الثلث لبعض الأسباب الدائمة يعدل تعديلاً خاصاً بطلب صاحب العقار أو مأمور المال عد عن التعديلات

العمومية التي تجري في كل عشر سنوات. تتطلب التعديلات وفقاً لنفقة السابقة من الستة الأشهر الأولى من السنة المالية وتعتبر التعديلات من السنة الآتية.

المادة التاسعة والعشرون- يقضى على أصحاب الأملاك بيان الخصوصات الآتية إلى قنم المال كتابة من ابتداء تطبيق هذا التكليف في كل قضاء ولم يعطى لهم عنم وخبر بمقابنة ذلك.

١- العلاوات التي تضم إلى الأبنية الجديدة الموجودة.

٢- العرصات التي خصصت من جديد للجهات المصرح بها في المادة الثامنة من هذا القانون.

التبديلات التي تحصل في جهة استعمال الأبنية بصورة تدعو إلى انقطاع الاستثناء المسطور بهذا القانون والتحويلات التي تغير نسبة التكليف المعنية في المادة الثانية عشرة.

تعطى البيانات المذكورة من خلال شهرين اعتباراً من اسعمال الأملاك عنى الوجه المذكور أو من حدوث التحويلات فيها وإذا لم تعط البيانات في المادة المذكورة يضم عنى التكليف المقتضى أخذه حسب التبدلات التي لم يخبر عنها عشرة في المئة مرة واحدة.

المادة الثلاثون- أصحاب الأملاك التي نسبت في التحرير العام ولم تكتب يقتضى عنهم إنهاء أمرها قبل انقضاء السنة الثانية التي تني ختام أعمال التحرير وإذا لم يخبروا بدون عذر مقبول يضم عنى أصل تكليف ذلك العقار عشرون في المئة من ابتداء تطبيق هذا القانون في ذلك أجل إلى آخر السنة التي يطلع بها عنى النسيان.

المادة الحادية والثلاثون- تجري المعاملات المتعلقة بتعديل دفتر الأمهات وفقاً لنقواعد الموضوعة للتحرير العمومي وإنما تؤلف النجدة التي تنظر في هذه المعاملات من أربعة

أعضاء اثنان منهم ينتخبان من أعضاء مجلس الإدارة واثنان من أعضاء المجلس البلدي برئاسة مأمور المال. ينظر في الاعتراضات التي يقدمها المكلفون أو مأمورو المال اخليون على قرار هذه النجان في المدة المحررة في المواد السابقة في مجالس الإدارة اخنية. يكون قرار مجالس الإدارة قطعياً على شرط أن يبقى حتى المراجعة للجنة المركزية في المدة المعينة محفوظاً في الأحوال المحررة في المادة الثانية والعشرين.

(الفصل الخامس)

في المكلفين الملزمين بأداء التكيف

المادة الثانية والثلاثون_أصحاب العقارات وذوو اليد على العقارات مكلفون بدفع التكيف المرتب عليها وإذا لم يوجد هؤلاء فالساكنون فيها.

المادة الثالثة والثلاثون_المتصرفون في العقار مشاعاً يكلفون بنسبة حصصهم الشائعة. العقار المقيد على شخص متوفى يعتبر غير مقسوم وتجري بحقه المعامنة وفقاً لنفقة الأولى هذا إذا لم يقسم ويقيد في إدارة الطابو أو إذا لم يسقط الورثة حقوقهم الإرثية كنها أو بعضها.

أحكام عمومية

المادة الرابعة والثلاثون_محور ناظر المالية نظاماً يتضمن كيفية تنفيذ هذا القانون وبعد تدقيقه في مجلس شورى الدولة ينفذ بإرادة سلطانية.

المادة الخامسة والثلاثون_تعتبر الأحكام التي كانت مرعية قبلاً في تكيف العقارات لاغية من ابتداء تنفيذ هذا القانون في كل قضاء وإكمال التحرير العام ومباشرة في تحصيل التكيف.

المادة السادسة والثلاثون_ عقارات الحرمين الشريفين مستثاة من أحكام هذا القانون.
المادة السابعة والثلاثون_ ناظر المالية مأمور بتنفيذ هذا القانون.

مخطوطات ومطبوعات

حالة المسلمين الاقتصادية

تأليف المسو لشاتليه

اعتاد صديقنا صاحب هذه الرسالة أني رينا كل يوم أثراً من آثار عنده وإطلاعه ودليلاً من أدلة مضائه واضطلاعه فهو اليوم المرجع الأكبر في أحوال الإسلام والمسلمين ومن أعظم أئمة الغربيين الواقفين على منزلة الشرقيين ورسالته هذه كسائر ما خطته يراعتة أو صدرت تحت رعاية ممنوءة بحسن الظن بمقبل للمسلمين افتحها بقوله أن العالم الإنكليزي الكوفي الذي ذهب بفضل التقدم في أعماله الاقتصادية ليس هو من حيث العدد إلا نصف العالم الإسلامي فهو عبارة عن ١٢٥ مليون ساكن في بريطانيا العسى والولايات المتحدة وكندا وأستراليا وأفريقيا الجنوبية والهند وسائر المستعمرات الساحلية التي يترها العنصر الإنكليزي أما الإسلام فتجمع كنته من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ مليون من البشر ويمتد سيطرته من الصحارى المتجددة في إيريتش وأوهيو إلى مدن أفريقية الجنوبية من الأرخيل الهندي إلى شواطئ الأتلاتيك مع فروع في أوربا تصل إلى ليتوانيا وبولونيا كي ينتشر وراء البحر المحيط إلى أميركا وأستراليا. والمسلمون كالكسوبيين تراهم تارة مجتسعين في بلاد إسلامية خاصة بهم وأخرى مفرقين بين من لا يدينون بلينهم فتركزهم الجغرافي ذو شأن في العالم.

والسواد العظم من المسلمين في آسيا فهو فيها عبارة عن ١٧٠ مليون مسلم أي مثل مجموع سكان أميركا الشمالية والجنوبية وإسبانيا والبرتغال. ففي العند الإنكليزية ٢٨٤ مليوناً من السكان منهم ٦٢ مسلم في الهند الصينية إلى سائر السكان نسبة ٥-١٠٠ من مجموع السكان ومعظمهم في الصين من ٥ إلى ٦ في المئة وفي الأفغان ٥-٩٩ في المئة وفي بخارى ٩٦ في المئة وبلجستان ٩٤ في المئة و٩٣ في فارس ويزول معدهم كنسما تقدمت نحو الغرب فبينا تجددهم ٩٨ ففي المئة ببلاد العرب يزول معدهم إلى ٨٦ في المئة بين النهرين وإلى ٧٨ في المئة في آسيا الصغرى والمعدل العام للمسلمين في آسيا هو ٢٠ في المئة ويبلغ في أفريقية ٣٦ ففيها ٦٠ مليون مسلم مقابل ١٦٥ مليون أفريقي ويزول معدل نفوسهم من الشمال إلى الجنوب ويكون سوادهم الأعظم في الشمال أي في مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر وأصل سكان أفريقية الشرقية من جالية العرب والهنود يزولون في رودوسيا والترنسفال والنااتال والراس ومدغكر وجزائر كومور وموريس ولا يقل عددهم عن مائتي ألف ولا يكثر عدد المسلمين في أوربا إلا في بلاد روميا ففيها نحو ثلاثة ملايين من التاتار وكذلك ترى في شبه جزيرة البنقان أجناساً من الأتراك والأرناؤد وغيرهم لا يقل عددهم عن ثلاثة ملايين أيضاً أما سائر بلاد أوربا فليس فيها إلا عدد قليل لا يتجاوز الألوف من المسلمين المختلفين ففي أجناسهم وليس هو ثابتاً. وإذا أضفنا إلى أستراليا وتوابعها نحو ٤٠ إلى ٥٠ ألف أفغاني وهندي وماليزي ومثل هذا القدر في أميركا بأشهرها من الأتراك والعرب والصينيين والزنوج جاءت معنا لائحة صحيحة في الحملة من العالم الإسلامي.

وبعد أن أفاض قليلاً في وصف معتقدات المسلمين وعاداهم قال أن لسان القرآن الإلهي يحدث صنة أخرى بين أعضاء الأسرة الإسلامية الكبرى فإذا كانت اللغة العربية لا يتكلم بها سوى خمسين مليوناً من الآسيويين والأفريقيين من نهر الفرات إلى النيجر فهي يترنم بها في المدارس الإسلامية من بلاد السين إلى أفريقية الجنوبية من جزائر الفلبين إلى مراكش وتعمل لغة كتابة عند الخاصة في كل بلد اجتمع فيه المسلمون ليتلوا القرآن العظيم. وإن الشعوب الإسلامية التي لم تقبل اللغة العربية قد دخل إلى لغاتها منها الشيء الكثير فالفارسية والتركية والملازية تكتب بحروف عربية ولغة الأوردو الهندية قد دخلها كثير من التعابير العربية وكذلك اللغة السواحلية ولغة البول والبربر في أفريقية.

وذكر المؤلف تاريخ الصحافة الإسلامية بإيجاز فقال مع أن تاريخها يرد إلى سنة ١٨٢٨ أيام أنشأ محمد علي الوقائع المصرية أصبحت الآن منتشرة ولاسيما في مصر على عهدها الأخير والبلاد العثمانية بعد الحرية وقدر الصحف الإسلامية في الأرض بأربعمئة منها ١٥٠ باللغة العربية أكثرها في مصر والشام وتونس. وأفاض في المشاريع الصناعية والتجارية التي أخذ المسلمون في آسيا خصوصاً يدخلون فيها ويبرزون كغيرهم من الشعوب الراقية وأحسن ظنه بنهضة المرأة التركية وكيف يحاول الجددون في الإسلام اليوم أن يدخلوا العلوم والفنون حتى في الجوامع كما فعل التونسيون في جامع الزيتونة والمصريون في الأزهر وذكر مثلاً من السكك الحديدية وأعمال الكهرباء والبخار ولاسيما في البلاد العربية فقال أن المدينة المنورة مع أنها في قفر بين البدو تنار بالكهربائية كما أن ينبع تشرب من ماء مقطر بالبخار والإمام يحيى في اليمن يطنب عمديد سكة حديدية من الحديدة إلى صنعاء.

ثم قال أن المفكرين من السياسيين الغربيين لينظروا وحق لهم أن ينظروا إلى هذه النهضة الحديثة في الإسلام لا من حيث الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ولا من حيث الجامعة الوطنية بل الواجب أن ينظروا إلى ما يتوقع أمره في القريب العاجل من قيام مدنية إسلامية متناسكة تقصد إلى توطيد التكافل الاقتصادي بين أجزائها وقال أن السياسة الحديثة أخفقت في دعوتها للجامعة الإسلامية فانفضت عرى تلك الدعوة يوم ظفر أحرار سلانيك بإعادة الحرية إلى المسكة العثمانية وقال أن السياسة العثمانية الإسلامية الألمانية قسيء السلطان للتقسيم (كذا) والعقول لا تتصور كيف تتخلص من الانقسامات الجنسية لإيجاد فكرة وطنية.

فالفكرة الاقتصادية هي التي تمم العالم الإسلامي أكثر وهي بها اليوم يطالب المتغلبون كما تطالب مصر إنكثرا بقولها بأن منافع مصر يجب أن تكون لمصر وكذلك فعل الجزائريون بعد سبعين سنة من استيلاء فرنسا عليهم فقاوموا وهم لا يخافون بأس القوة يطالبون بأراضيهم التي استصفت فعلى أوروبا أن تتأكد قيام المسلمين بالجامعة الاقتصادية مما هو ماثل للنعيان من حال إيران فإن أهلها يريدون أن يقاطعوا كل ما هو غير إيراني وأن يطبقوا القواعد المدنية والاقتصادية على الإسلام لتكون بلادهم لهم في اقتصادياتها ومشاريعها النافعة وهنا قال المؤلف بأن على أوروبا أن تنظر المسلمين وجرائدهم التي تنفخ فيهم روح النهوض لترى كيف تحقق سياستها الاقتصادية فينادي لسان حاملهم جميعاً بلاد الإسلام للمسلمين ونحن نقول إذا صحت هذه الأحلام والأوهام آمين.

منطق المشرقين

والقصيدة المزروجة في المنطق للرئيس أبي علي بن سينا

عيت بتصحيح المكتبة السلفية في القاهرة ص ٨٣

أحضت هذه المكتبة بنشر هذا السفر النفيس على أسنوب راقٍ شقها في كل ما نشرته حتى الآن وقد صدرت الكتاب بترجمة الرئيس عن أصح المصادر فجاءت الترجمة في ٣٨ صفحة وهي من أحفل تراجم الرئيس. أما الكتاب والقصيدة فهما في الغاية من السلاسة والوضوح بحيث يسهل على من لم يدرس هذا الفن على أسنوبه أن يتلقفه بنفسه من هاتين الرسالتين ولا عجب فكلام الرئيس رئيس الكلام. وهناك ما قاله المؤلف في ذكر العنوم نقله غودجاً لمن لم يسعده الحظ بقراءة شيء كثير من قلم الرئيس وعنواناً على كيفية تقسيم العنوم في عهده قال: إن العنوم كثيرة والشهوات لها مختلفة ولكنها تنقسم أول ما تنقسم قسمين: عنوم لا يصنع أن تجري أحكامها الدهر كنه بل في طائفة من الزمان ثم تسقط بعدها أو تكون مغفولاً عن الحاجة إليها بأعيانها برهة من الدهر ثم يدل عليها من بعد. وعنوم متساوية النسب إلى جميع أجزاء الدهر وهذه العنوم أولى العنوم بأن تسمى حكمة.

وهذه منها (أصول) ومنها (توابع وفروع) وغرضنا هنا هو في الأصول وهذه التي سميناها توابع وفروعاً فهي كالطب والفلاحة وعنوم جزئية تسب إلى التجميع وصنائع أخرى لا حاجة بنا إلى ذكرها.

وتنقسم العنوم الأصلية إلى قسمين أيضاً: فإن العلم لا يخلو إما أن يتضع به في أمور العالم الموجودة وما هو من قبل العالم ولا يكون قصارى طالبه أن يتعلمه حتى يصير آلة لعقده يتوصل بها إلى عنوم هي (عنوم أمور العالم وما قبله). وأما أن يتضع به من حيث يصير آلة لطالبه فينا يروم تحصينه من العلم بالأمور الموجودة في العالم وقبله.

والعلم الذي يطلب ليكون آلة_ قد جرت العادة في هذا الزمان وهذه البدان أن يسمى (علم المنطق) ولعل له عند قوم آخرين اسماً آخر لكنا نؤثر أن نسميه الآن بهذا الاسم المشهور.

وإنما يكون ذا العلم آلة في سائر العلوم_ لأنه يكون عنصراً منهاً على الأصول التي يحتاج إليها كل من ينتقص الجهول من المعلوم باستعماله للمعلوم على وجهه يكون ذلك النحو وتلك الجهة مؤدياً بالباحث إلى الإحاطة بالجهول فيكون هذا العلم مشيراً إلى جميع الأنحاء والجهات التي تنقل الذهن من المعلوم إلى الجهول. وكذلك يكون مشيراً إلى جميع الأنحاء والجهات التي تضل الذهن وتوهمه استقامة مأخذ نحو المطلب من الجهول ولا يكون كذلك. فهذا هو أحد قسمي العلوم.

وأما القسم الآخر_ فهو ينقسم أيضاً أول ما ينقسم قسمين: لأنه إما أن تكون الغاية في العلم تزكية النفس مما يحصل لها من صورة المعلوم فقط وإما أن تكون الغاية ليس ذلك فقط بل وأن يعمل الشيء الذي انتقشت صورته في النفس.

فيكون الأول تعاطي به الموجودات لا من حيث هي أفعالنا وأحوالنا لنعرف أصوب وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا والثاني ينتفت فيه لفت موجودات هي أفعالنا وأحوالنا لنعرف أصوب وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا.

والشهود من أهل الزمان أهم يسون الأول (علمياً نظرياً) لأن غايته القصوى نظر ويسون الثاني منها (عملياً) لأن غايته العمل.

وأقسام (العلم النظري) أربعة: وذلك لأن الأمور إما مخالطة للمادة المعينة حداً وقواماً فلا يصلح وجودها في الطبع في كل مادة ولا يعقل إلا في مادة معينة مثل الإنسانية والعظمية

وإن كانت بحيث لا يمتنع الذهن في أول نظره عن أن يحلها كل مادة_ فيكون على سبيل من غلط الذهن بل يحتاج الذهن ضرورة في الصواب أن ينصرف عن هذا التجويز ويعلم أن ذلك المعنى لا يحل مادة إلا إذا حصل معنى زائد يهيئها له وهذا كالسواد والبياض فهذا من قبيل الموجودات والأمور.

وإما أمور مخالطة أيضاً كذلك والذهن وإن كان يحوج في صحة تصور كثير منها إلى إلصاقه بما هو مادة أو جار مجرى المادة_ فليس يمتنع عنده وعند الوجود أن لا يتعين له مادة وكل مادة تصلح لأن تخالطه ما لم يمتنع مانع وليس يحتاج في الصنوح له إلى محمد يخصه به مثل الثلاثية والثانية من حيث هي مشكونة وتعرض الجمع والتفريق ومثل التدوير والتربيع وجميع ما لا يفتقر وجوده ولا تسوره إلى تغير مادة له وهذا قبيل ثان من الأمور والموجودات.

وأما أمور مباينة للمادة والحركة أصلاً فلا تصلح لأن تخنط بالمادة ولا في التصور العقلي الحق مثل الخالق الأول. الأول تعالى ومثل ضروب من الملائكة وهذا قبيل ثالث من الموجودات.

وأما أمور ومعانٍ قد تخنط المادة وقد لا تخالطها فتكون في جنة ما يخالط وفي جنة ما لا يخالط مثل الوحدة والكثرة والكني والجزئي والعنة والمعنول. كذلك أقسام العنوم النظرية أربعة لكل قبيل عنم.

وقد جرت العادة بأن يسمى العنم بالقسم الأول (عنماً طبيعياً) وبالقسم الثاني (رياضياً) وبالقسم الثالث (آلهياً) وبالقسم الرابع (كنياً) وإن لم يكن هذا الغصيل متعارفاً فهذا هو العنم النظري.

وأما (العلم العملي) فمنه ما يعلم كيفية ما يجب أن يكون عليه الإنسان في نفسه وأحواله التي تخصه حتى يكون سعيداً في دنياه هذه وفي آخرته وقوم يخصونه هذا باسم علم الأخلاق.

ومنه ما يعلم كيف يجب أن يجري عليه أمر المشاركات الإنسانية لغيره حتى يكون على نظام فاضل. أما في المشاركة الجزئية وأما في المشاركة الكلية والمشاركة الجزئية هي التي يكون في منزل واحد والمشاركة الكلية هي التي تكون في المدينة.

وكل مشاركة فإنما تتم بقانون مشروع وعمول لذلك القانون المشروع براعيه ويعمل عليه ويحفظه ولا يجوز أن يكون المتولي لحفظ المقتن في الأمر جميعاً إنساناً واحداً فإنه لا يجوز أن يتولى تدبير المنزل من يتولى المدينة بل يكون للمدينة مدبر ولكل منزل مدبر آخر. ولذلك يحسن أن يفرد (تدبير المنزل) بحسب المتولي بآياً مفرداً و (تدبير المدينة) بحسب المتولي بآياً مفرداً ولا يحسن أن يفرد التقنين للمنزل والتقنين للمدينة كل على حدة بل الأحسن أن يكون المقتن لما يجب أن يراعى في خاصة كل شخص وفي المشاركة الصغرى وفي المشاركة الكبرى شخص واحد بضاعته واحدة وهو (النبي).

وأما المتولي للتدبير وكيف يجب أن يتولى فالأحسن ألا ندخل بعضه في بعض وإن جعلت كل تقنين أيضاً بآياً آخر فعلت ولا بأس بذلك لكنك تجد الأحسن أن يفرد العلم بالأخلاق والعلم بتدبير المدينة كل على حدة وأن تجعل الصناعة الشارعة ما ينبغي أن تكون عليه أمراً مفرداً.

وليس قولنا وما ينبغي أن تكون عليه مشيراً إلى أنها صناعة ملققة مخترة ليست من عند الله ولكل إنسان ذي عقل أن يتولاها كلا بل هي من عند الله وليس لكل إنسان ذي

عقل أن يتولاها ولا حرج علينا إذا نظرنا في أشياء كثيرة مما يكون من عند الله أنها كيف ينبغي أن تكون.

فلتكن هذه العنوم الأربعة أقسام العلم العلي كما كانت تلك الأربعة أقسام العلم النظري اهـ

الهيئة والإسلام

لمؤلفه السيد هبة الدين الشهرستاني طبع ببغداد في مطبعة الآداب سنة

١٣٢٨.

ص ٣١٤

ذكر المؤلف أن الإسلام يوافق آراء الفلسفة الحديثة أكثر مما يوافق القديمة خصوصاً في الفلكيات وقد فسر كثيراً من الآيات المشككة والروايات المعضلة قال: فقي الناس أناس يزعمون الشارع في أبواب الفلكيات ملك الحكماء وإن الهيئة القديمة هي الموافقة للشريعة القديمة فالجل ذلك تراهم عند اعتقادهم بطلان الفلسفة الغابرة تزل أقدامهم ويضعف التزامهم بنواميس الشريعة الطاهرة فقصدت من تصنيف هذا الكتاب بيان مخالفة الإسلام لمعظم مباني الهيئة البطلموسية ومواقفه للآراء المكتشفة في الهيئة الجديدة فينبغي أن يكون تصديقهم لعنوم العصرية سبباً لرسوخ العقائد الدينية ومزيد اليقين بصدق باقي مقالات النبي الأمامي والأئمة من أهل بيته. والمؤلف مشهور بسعة الإطلاع فنشكره على تحفه.

غرائب الغرب

لصاحب المقتبس طبع بمطبعته ص ٢٠٤

هي بعض ما شاهده وعرفه صاحب هذه المجلة عن ديار الغرب نشر أولاً في بعض أجزاءه هذه السنة والسنة الماضية وجرّدناه على حدة وهذه مقدمته وهي تنم عن الغرض من نشره:

هذه فصول ومقالات بل آهات وتأوهات كبتها في وصف معالم الغرب وما لقيته فيه وثقفت عنه وأنا على مثل اليقين بأنها لا تحمل في مطاويها من تلك المدنية الساحرة إلا بقدر ما تصل إليه يد عابر سبل ويتفطر له فكر التزويل والدخيل راجياً من كرمه تعالى أن ينفع بها قراء العربية ومنه أستمد العون والتيسر نعم المولى ونعم النصير.

رسائل البابية

نشر البارون روزن الروسي المتوفى ٦٣ رسالة بالفارسية والعربية كتبها بهاء الله المصلح الثاني في المذهب البابي. والعربية منها كما قال أحد الناظرين في هذه الرسائل وإن كانت تبدو في صورة وحي قرآني لا تخرج عن كونها كتبت لتقوية البابين على تحمل المصائب في سبيل إيمانهم والعمل بما توحى به الحقيقة الكنية والرسالة العشرون منها المسماة سورة المنوك عبارة عن شكوى صاحب المذهب وأتباعه من بعض ما ينالهم من الموظفين الذين اضطهدوا من انتخبوا مذهب الباب. ولأن كانت البهائية ينحرف فيها منحى القرآن في الإنشاء فيغتر بها بعضهم لأول وهلة إلا أن من يحسن كتابة لغته لا يثبت أن يرى أغلاطاً عربية وأكثرها في التركيب.

معيان الفتاوى

نشر المسير إميل أمار من علماء المشرقيات في فرنسا ملخص فتاوى فقيه المغرب أب يالعباس أحمد بن يحيى الونشر يسي المتوفى سنة ٩١٤ هـ في مجلدين وترجمها إلى الإفرنسية

مع تعليق الشروح اللازمة لها. وهذا الكتاب هو فتاوى صدرت عن مفاتي أفريقية أي تونس وولايات قسنطينة والجزائر وعشاء الأندلس والمغرب الأقصى وهو عبارة عن ولاية وهران وبلاد مراكش وكان طبع هذا الكتاب برمته على تل الحجر في فاس في ١١ مجلدًا تدخل في ١٢٢٤ صفحة نسق الناشر هذه الفتاوى حتى جاءت مثل كتاب دالوز في القانون مرجعاً يسهل الرجوع إليه.

ثلاث مجلدات جديدة

الحقائق_مجلة علمية دينية أخلاقية اجتماعية عمرانية لصاحبها الشيخ عبد القادر الاسكندراي بحورها نخب من أهل الفضل بدل اشتراكها في دمشق ريال واحد وفي البلاد العثمانية ريال وربع وفي الأقطار الأجنبية ٧ فرنكات وتصدر مرة في الشهر.

النديم_مجلة كاثوليكية سياسية إخبارية تاريخية أدبية علمية لمنشئها شاكرو أفندي عون ويعاونه بإنشائها بعض أصحاب الأقلام قيمة اشتراكها في بيروت ريالان وفي البلاد الخارجية عشرة فرنكات وهي تصدر مرتين في الشهر.

تنوير الأفكار_مجلة دينية أدبية سياسية تصدر كل شهر مرة في بغداد لصاحبها عبد الهادي أفندي الأعظمي ومديرها نعيان أفندي الأعظمي قيمة اشتراكها في الممالك العثمانية مجيدي

وربع وعشرة فرنكات في الخارج.

كتب متفرقة

معنى الحياة-عربه عن الإنكليزية وديع أفندي البستاني وهو تأليف النورد أفيري المشهور وفيه نصائح للناشئة في قوة الإرادة وصدق العزيمة والثبات والشجاعة والاقتصاد يطلب من مكتبة المعارف في مصر.

تقرير السر ألدن غورست سنة ١٩٠٩- هو التقرير الذي يصدره كل سنة معتمد إنكترا في مصر عن الحركة الإدارية والسياسية والعنسية فيها صدر بالعربية والإنكليزية والفرنسوية وفيه كلام طويل على المعارف المصرية ونمو الحركة للتعليم وازدياد عدد الشبان والكتاتيب والعناية بتعلم العلوم بالنسان العربي المبين ويطلب من مطبعة المقطم بالقاهرة.

القطار السريع في علم البديع- مختصر في علم البديع لحقي بك ناصف من شيوخ الأدب في مصر وهو شرح بنديعية تقي الدين.

سير العلم والاجتماع

الشعري اليمنية

قرأت في المقتبس رسالة من بغداد تبحث في الشعري العبر فشكرت عناية الكاتب بهذا البحث النافع وأرجو مواصلة القراء بشذور هذا العلم الساطع بيد أي وجدت فيها هفوة لعنها من النقل أو النشر وهو قوله: إن العلامة شارل نوردمان يقول بأن الشعري تبعد عنا نحو خمسمائة مرة بعد الشمس عنا والصحيح لأنها تبعد عنا زهاء خمسمائة ألف وثلاثة وعشرين ألف مرة بعد الشمس عنا وتتأتى معرفة ذلك من رصد اختلافها السنوي وهو الزاوية الحاصلة عندها التي يقابلها قطر فلک الأرض وهي اصغر من أن تقاس إلا بأدق الآلات لأن فلک الأرض من ذلك المكان السحيق يرى كنقطة متحدة بنور الشمس

المشع لكنها في غاية الضعف وقد عرف لها اختلاف سنوي جزئي وهو بحسب قائمة أورمان ٠. ٣٩ من الثانية فيقتضي لوصول نورها إلينا ثلثي سنين وثلث سنة تقريباً وبالتدقيق ٠. ٣ ثم بحسب مادتها وهي ثلاث مرات وربع مثل مادة الشمس فتكون قوة الجذب فيها أشد من قوة الجذب في الشمس وتوابعها معاً (الميارات وأقمارها) فنور وجدت على بعد خمساً^{١١} مرة مثل بعد الشمس عنا لدنت الشمس إليها ثم أسرع نحوها مضطرة لشد التجاذب (لأن الجاذبية تتغير بالقلب كمربع البعد) أما للدوران حولها أو للاندماج فيها والواقع أن الشعري اليانبي من النجوم المتباعدة عنا وأن شمسينا (ونظامها) سائرة نحو نقطة بالقرب من الجاثي واستج بعض الراصدین أن قرب الكيوي أنور كواكب الثريا قطب دوران حقيقي للكواكب (الشموس) التي تتألف منها عقود البروج كافة وهذا الرأي الأخير لم يجزم بصحته حتى الآن والشعري اليانبي محسوبة من النجوم المزدوجة وقيل بأنها تدور حول جرم مظلم أعظم منها قليلاً ومدة دورانها حوله ٥٢ سنة تقريباً.

ثم ذكر أن الشعري اليانبي هي إلينا أقرب هذه الكواكب المنتشرة على بساط اجرة والمعنوم عنها حتى الآن أما الرابعة في البعد عنا بين الثوابت لأنه عرف لثلاثة كواكب اختلافها سنوي أكثر وأقربهم إلينا قنطوروس اختلافه السنوي ٠. ٧٥ أي ثلاثة أرباع الثانية فيكون بعده عنا قرابة ٢٥٢ ألف مرة بعد الشمس عنا ويقتضي لوصول نوره إلينا أربع سنين ويظن بعض علماء الهيئة أن بين النجوم الضئيلة التي تعد بالملايين عدد قليل منها أقرب إلينا من قنطوروس.

لنفرض للاستعانة على تصور قدر الشمس الهائل وبعدها عنا ولأجل مقابلة المسافات الشاسعة المذكورة أن كرة قطرها قدمان تمثل الشمس فتكون الأرض كحبة حمص صغيرة على بعد ٢٢٠ قدماً وتكون اقرب الثوابت إلينا على بعد تقديره بالتقريب ٨٠٠٠ ميل عن مثال الشمس والمسافة الحقيقية التي بيننا وبين الشمس ٩٢ مليون ميل بالتقريب يصل نورها إلى الأرض في ٨ دقائق و١٩ ثانية.

ويني الشعري اليمانية في البعد عدد لا يحصى من النجوم بضعة وعشرون منها يعرف لها اختلاف سنوي والملايين الكثيرة الباقية لا يعرف لها اختلاف سنوي لتناهيها في البعد أو لتوغلها في قلب المجرة أو أقاصيها وتواها بإشعاع نورها وليس بذات جرمها لأن زاوية البصر تتلاشى قبل الوصول إلى أقرب الثوابت بمسافات بعيدة وأقوى النظارات في وقتنا الحاضر لا ترينا قرصاً للثوابت وإذا قيل بأن النور يجتاز عرض المجرة بمدة عشرين ألف أو ثلاثين ألف سنة فبعض السدام على رأي بعض الفلكيين يقتضي لوصول تنوره إلينا سبعمائة ألف سنة وأقوى النظارات لم تحمله إلى نجوم مفردة أو عناقيد ومن المحتمل أن يكون مجرة الباميد كالمجرة التي نظامنا الشمسي وعامة الكواكب وأنظمتها منها وفيها على أن الوأي القائل بأن وراء هذه المجرة الخيطة بنا مجرات عديدة مؤلفة من عوالم وأنظمة إلى ما لا نهاية لما يتأكد والآلات الحاضرة لا تمكنا من كشف شيء من هذا السر العظيم وقد وجدت خطوط في طيوف بعض السدم أنور من خطوط الهيدروجين لا تدل على عنصر معروف في الأرض أو في الشمس حتى الآن فمن المحتمل أن يكون ذلك دليلاً على وجود عنصر أبسط أو أوطأ رتبة من الهيدروجين.

هذا في ما جال في الخاطر حداني إليه كوكب نظرائه كاتب تلك الرسالة لاقتفاء أثره
واقتراس منار له في هذا المسلك الذي قد لا أنجو بسنوكه من العثور فالرجوع إلى ما
يدونه عناء العصر أحق والبحث في أنواع العنوم الطبيعية أنور لنصرة فتكسب المرء
قدرة التصرف بالأعمال العظيمة المفيدة فإن أكثر الناس تجهل حقيقة هذا العنم وتخيل
في السماء أموراً سخيفة أشركتها في معتقدها وتسكعت في باطنها وظنت عليها القرون
والأحقاب حتى رسخت تلك الأوهام الفاسدة في العقول وانطعت مزاعم زعمائهم
الباطنة

في القلوب فتأصل فيهم الميل للشعوذات والإيمان بالخرافات فحققت عليهم كدنة الشر
والجهالة فصارت ذريعة إلى انجاذلات حتى الحروب والغارات وفاقم أن الأرض دار قراع
وتنازع في البقاء وأن عصرنا هذا عصر جد واجتهاد وأنهم على سطح جرم حقير
(الأرض) اعتباره كذرة من جميع المادة نسبه إليها كنسبة حبة رمل إلى طود عظيم خيط
من التراب والرمل والحجارة تناثرت أجزاءه في هذا الفضاء وعلم الهيئة الحقيقي هو علم
أثبتته الفحص وقام عليه البرهان يعرفنا بحقيقة هذا الوجود ويزيل أو يقلل من تفاخر
الإنسان الكاذب وغنائه وعند التعنى بأصوله وتعميم انتشاره في مستأنف الزمان
يدركنا التغير الكلي في جميع أمورنا وأحوالنا ونخرج من مأزق التعصب ومضيق الأفكار
فتبدو علاءات اليمن وإمارات الخير ويكون لهذا العنم المزية الكبرى على سائر العنوم
فهو رائد الإصلاح الأكبر .

دمشق:

أحد القراء

وقف للنعم

وقف أحمد بك زكي من علماء مصر خزانة كتبه وفيها مئات من الأمهات المهمة المخطوطة والمطبوعة وأكثر مطبوعات أوروبا العربية وكثير من نفائس الكتب الإفرنجية على المطالعة لأهل القاهرة وذلك على شرط أن تجعل في مكان خاص بها من دار الكتب المصرية وهي غيرة على العلم لا تتكثر ممن خدمه طوال حياته.

مسألة قلة النفوس

وضعت مجلة الاقتصاد بين مقالة قالت فيها أنه يكاد لا يعرف كبير أمر عن مسألة النفوس لأن الأمم القديمة قد دثرت كلها تقريباً ونوشك أن لا نعرف إلا أموراً طفيفة عن حالة الآشوريين كما نحن كذلك في تصور اليونان والرومان فإن الرجال الممتازين قواداً كانوا أو فلاسفة ممن اشتهروا قديماً لم يتركوا عقباً فلا يمكن أن يقال أنهم هلكوا في حروب أهلية أو خارجية وأن قد خلفتهم شعوب أخرى مثل البورغونيين والفاندالين والغوتيين الذين نشثوا من جرمانيا والهونسيين والجريرين الذين جاؤوا من آسيا فالماضي يمثل لأعينا تعاقب الأمم التي تناقلت حسنات المدينة خلفاً عن سلف.

ومسألة قلة النفوس اليوم ينظر فيها في كل مكان ولاسيما في فرنسا فالشعب الفرنسي اليوم ٣٩ مليوناً ويجب أن يزيد كل سنة مليون نسمة ولذلك رأى أحدهم أن يعطي كل أب وأم فرنسيتين ما شاءا من الوظائف لأن لهم ميلاً خاصاً إليها على شرط أن يكون لهما ثلاثة أولاد أحياء أو أكثر بدون النظر إلى كفاءتهما وأن تخصص الحكومة مكافأة مالية قدرها خمسة فرنك تدفع دفعتين إذا ولد للأبوين الولد الثالث وهو حي وبذلك تنفق الحكومة في السنة من ١٥٠ إلى ١٧٥ مليون فرنك.

فردت المجلة على هذا الفكر وقالت أن الأولاد والعجزة الذين يولدون على تلك الصفة مدة عشر سنين يزيد عددهم ملايين وهم لا يعملون عملاً ويفقر السكان من جباية هذه الضريبة منهم أي مبلغ ١٧٥ مليوناً كل سنة الذي يقضي عليه أداؤه وما قط كانت زيادة الضرائب مغنية لأمة ومن ذلك ينشأ فقر متتابع لأن مائتي مليون فرنك لا تكفي للقيام بتعليم العلم العالي الذي يستزمه إعداد رجال لنصاعات الحرة مثل الطب والحاماة والهندسة وغيرها وسنك الوظائف أيضاً وربما كان في المستقبل معروض عن هذا العمل ولكن الحال في فرنسا ليست كأمر كا وروسيا لأن باطن أرضها قليل الخصب ولا يرجى رواج التجارة أكثر من الآن فالنفوس فيها محدودون وكل دواء يقترح للشفاء من قنيتها لا يزيد الحال إلا إعضالاً.

فهذه الضريبة لا تأثير لها في الأغنياء والحكومة الآن هي السبب في تقليل السكان فخير لها فيما نرى أن تسهل التعليم العالي فلا تحتم على طالب الطب والحاماة تعلم اللاتينية بل اليونانية ومجموعة العلوم في حين يكفيها معرفة علومها معرفة عملية ويحذف حياً بالاقتصاد من خطة الدروس درس بقية العلوم لأمثال هؤلاء وبذلك يتوفر مبالغ من المال تصرف على تعليمهم إياها. قال وأنجع الأسباب في ذلك تقليل الضرائب على وجه عام فبقليلها تزيد النفوس إلى الحد المطلوب الذي تسمح به حالة البلاد ونشاط أهلها.

دار الترجمة

صدر الأمر الخديوي بإعادة ديوان الترجمة في مصر. كنا كان في أيام الخديويين السالفين وسيعرب هذا الديوان كل ما تحتاج إليه اللغة العربية من أنواع العلوم الفنون المستحدثة.

التربية اليابانية تقضي الحكومة اليابانية على الوالدين أن يرسلوا أبناءهم إلى المدرسة ست سنوات يخصص منها ساعتان في اليوم لدرس الآداب. ولناظر المعارف أن ينتخب الكتب المدرسية. وأهم الموضوعات في مدارسهم واجب الحب الوالدي واحترام السلف والإخلاص للإمبراطور والإمبراطورة والصفح والاحتشام وعرفان الجميل والاقتصاد والرفقة نحو الشيوخ والخدم والجماعة والواجبات نحو الجار والخير العام واحترام الآلهة والوطنية واسعمال الوقت والشجاعة. وقد أضافوا في السنين الأخيرة دروساً عديدة في واجبات الوطني الاجتماعية وواجبات الجندي وانتخاب النواب للبرلمان والبلدية واحترام الشرائع وأفضلية الرجل وواجبات الرجل والمرأة وهنم جراً.

اكتشاف نافع

اكتشف الدكتور أهريخ الروسي تركيباً كيميائياً من الزرنيخ فدلّت التجارب على نجاح هذا الدواء في معالجة الحصى الملارية والحصى المقطعة ومرض النوم. ويعتقد بعض الأطباء أنه بات في حيز الإمكان الآن التغلب على مرض النوم المتفشي في بلاد الكونغو وغيرها من البلاد الأميركية. وفي رواية أخرى أن هذا التركيب يشفي من المرض الزهري.

ميكروب الخصب

أعلن الدكتور رسل والدكتور هتشنسن في الجمع الطبي البريطاني اكتشاف ميكروب يقتل البكتيريا اللازمة لخصب الأرض وهو أعظم اكتشاف زراعي منذ ٥٠ سنة وكان قد اكتشفا علاجاً بالحرارة أو مضادات الفساد يقتل جراثيم كثيرة من التي تأكل البكتيريا المفيدة للأرض فتزيد بذلك خصب التربة وقد كان في أثناء أبحاثهما في هذا الموضوع أن اكتشف الميكروب المتقدم ذكره.